

التفسير العلمي للقرآن الكريم (دراسة تحليلية لموقف المؤيدين والمعارضين)

د. شكران سعيد سعد العرفي

قسم الشريعة والدراسات الإسلامية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبد العزيز

بجدة - المملكة العربية السعودية

Shuk.ran@hotmail.com

الملخص:

هدف البحث إلى دراسة التفسير العلمي للقرآن الكريم ومناقشة آراء مؤيديه ومعارضيه وبيان الموقف منه، وتكون البحث من تمهيد ومبحثين، المبحث الأول عن الإطار المفاهيمي للتفسير، وتكون من ثلاثة مطالب على النحو التالي: تناول المطلب الأول: مفهوم التفسير لغة واصطلاحاً، وتناول المطلب الثاني: مفهوم التفسير التحليلي ونشأته، وتناول المطلب الثالث: عناية الأمة بالتفسير، أما المبحث الثاني فكان عن التفسير العلمي، وتكون من ثمانية مطالب على النحو التالي: عرض المطلب الأول: ماهية التفسير العلمي للقرآن الكريم، وتناول المطلب الثاني: تفسير القرآن الكريم والمعرفة العلمية، وعرض المطلب الثالث التفسير العلمي والإعجاز العلمي، وتناول المطلب الرابع: تطور الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم، وكان المطلب الخامس عن التفسير العلمي بين الاتجاه والمنهج، ثم جاء المطلب السادس متناولاً مناقشة اتجاه الرافضين للتفسير العلمي، وتناول المطلب السابع مناقشة اتجاه المسرفين في التفسير العلمي، ثم عرض المطلب الثامن الاتجاه الاعتدالي في التفسير العلمي للقرآن الكريم، وفي الخاتمة عرضت الدراسة ضوابط التفسير العلمي وشروطه.

الكلمات المفتاحية: التفسير - التحليل - التأييد - المعارضة.

Scientific interpretation of the Holy Quran (Analytical study of the position of supporters and opponents)

Abstract:

The research aimed at studying the scientific interpretation of the Holy Qur'an, discussing the views of its supporters and opponents, and stating the position on it. The research consisted of an introduction and two papers. The first study was about the conceptual framework for interpretation, and it consisted of three demands as follows: The first requirement: the concept of interpretation in language and convention, and the second requirement: The concept of analytical interpretation and its origins, and it dealt with the third requirement: the nation's attention to interpretation. As for the second research, it was about scientific interpretation, and it consisted of eight demands as follows: Presentation of the first requirement: What is the scientific interpretation of the Holy Qur'an, and it dealt with the second requirement: interpretation of the Holy Qur'an and scientific knowledge, and a presentation

The third requirement was scientific interpretation and scientific miracles, and the fourth requirement dealt with the development of the scientific trend in the interpretation of the Noble Qur'an. The fifth requirement was for scientific interpretation between the direction and the method. Then the sixth requirement came to discuss the direction of those who reject scientific interpretation, and the seventh requirement dealt with the discussion of the trend of profligate in scientific interpretation. Then the eighth requirement presented the moderate trend in the scientific interpretation of the Holy Qur'an, and in the conclusion the study presented the rules and conditions for scientific interpretation.

Key words: interpretation - analysis - support - opposition.

تمهيد:

لطلاب العلم فوائد لا تجدد، وثمرات لا تتكر، وإن أشرفه وأنبله ما قرب العبد إلى مولاه، وكان سبباً في نيل رضاه.

"وكتاب الله تعالى: أشرف ما صرفت إليه الهمم، وأعظم ما جال فيه فكر، ومد به قلم؛ لأنه منبع كل علم وحكمة، ومربع كل هدى ورحمة، وهو أجل ما تتسك به المتسكون، وأقوى ما تمسك به المتمسكون، من استمسك به فقد علقت يده بحبل متين، ومن سلك سبيله فقد سار على طريق قويم، وهُدي إلى صراط مستقيم"^(١).

كما إن علم تفسير القرآن، من أشرف العلوم قدراً، وأسمها منزلة، وأعظمها نفعاً، وإنما يشرف الشيء بشرف موضوعه، ونبل غايته.

"وقد كان رسول الله ﷺ هو المبين عن الله عز وجل أمره، وعن كتابه معاني ما خوطب به الناس، وما أراد الله عز وجل به وعني فيه، وما شرع من معاني دينه وأحكامه وفرائضه وموجباته وآدابه ومندوبه وسننه التي سننها، وأحكامه التي حكم بها، وآثاره التي بثها"^(٢).

"فنبئت عليه السلام حجة الله على خلقه بما أدى عنه وبيّن، وما أدل عليه من محكم كتابه ومتشابهه، وخاصه وعامه، وناسخه ومنسوخه، وما بشر وأنذر"^(٣).

ثم جاء من بعده صفوة الخلق، وخير القرون، صحابته الغر الميامين، والقادة الفاتحون، حيث تربوا في مهد النبوة، ونهلوا من معين الوحي الصافي، ونبعه الفياض، فكانوا مشاعل هدى، ومنابر نور، حملوا عنه هديه وبيانه، وأدوا رسالته بصدق وأمانة، فنبع من بينهم حبر الأمة، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، التف حوله أصحابه، والتقطوا من فيه درر التفسير، فكان رائدهم في هذا العلم، وكان أصحابه من أعلم الناس بالتفسير، أمثال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وعطاء بن أبي

(١) ابن القيم: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٥.

(٢) عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس: مقدمة الجرح والتعديل، تحقيق: بد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٢م، ص ٢.

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة، ص ٢.

رياح. فكان عصر التابعين، عصرًا ذهبيًا، أنواره ساطعة، وقطوفه دانية، ودرره منثورة، وحلق العلم في المساجد مبثوثة، درس في التفسير، وآخر في الحديث، وثالث في الفقه، فكانوا على خير هدى، وأفضل علم.

اشتغل التابعون بعلم التفسير، فاستقرغ جهدهم، فكانوا يسألون عن تفسير القرآن آية آية، ليوضحوا معناه، ويبينوا مجمله، علموا تفسيره وأسباب نزوله، وفصائله وأمثاله، وغريبه ومعربه، وبينوا محكمه من متشابهه، وناسخه من منسوخه، وعمومه من خصوصه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله "وكان من أعظم ما أنعم الله عليهم، اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن، لا برأيه ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعية والآيات البينات، أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم" (٤).

ثم جاء من بعدهم اتباع التابعين، تتلمذوا على أيديهم، وورثوا علمهم، وقفوا على آثارهم، واستقوا من أصلهم، من المورد الزلال، والنبع الصافي، فالتقطوا فوائدهم، واصطادوا فرائدهم، وقيّدوا شواردهم. ومعلوم أن لغة اليوم هي لغة العلم والكشف والاختراع، فهي الأساس والمعتمد والمحور الرئيس للثقافة وتبادل الآراء، وقد نالت هذه اللغة الصدارة في معظم الميادين والأصعدة، وقد أثبتت جدارتها وأصالتها في الوصول إلى الأهداف والغايات التي يصبو إليها كل طموح مقدام.

والتفسير العلمي هو أحد فروع هذه اللغة النابعة من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهي لغة عامة لكل من طرق أبواب العلم والمعرفة، ليدرك الجميع ذلك الدليل القاطع الذي يُثبت بلا شك ولا ريب أن القرآن كلام الله ومن عند الله ويستحيل على الإنس والجن أن يأتيوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، قال تعالى: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ" (فصلت، ١)

وهذه الحقيقة يُقرُّ بها كلُّ عاقل حكيم لا يركن إلى إفراط أو تفريط، ومع ذلك فقد وُجد من أنكر هذا الأمر ولعل ذلك نتيجة لإفراط المسرفين الذين تجاوزوا الحد المعقول في الميل إلى التفسير العلمي القرآني فكانت ردة الفعل المعاكسة المتمثلة في موقف المنكرين.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للتفسير:

المطلب الأول: مفهوم التفسير لغة واصطلاحاً:

أولاً: مفهوم التفسير لغة:

التفسير في اللغة بمعنى الإظهار والكشف، وأصله في اللغة من التفسر وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء. وقيل: هو مقلوب من (سفر) ومعناه أيضاً الكشف؛ يقال: سمرت المرأة سفوراً إذا ألفت

(٤) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم: مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٥م، ١٣/٢٨-٢٩.

خمارها عن وجهها، وهي سافرة، وبني على التفعيل؛ لأنه للتكثير، وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ أي تفصيلاً.^(٥) وفي لسان العرب: الفسر: البيان، فسر الشيء يفسره، بالكسر وبالضم فسرّاً وفسره أي أبانه، والتفسير مثله. والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل.^(٦) والفسر: بياض النهار، وسفر الصبح وأسفر: أضاء.^(٧)

قال الراغب: "الفسر والسفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول، وجعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار."^(٨)

ويطلق التفسير في اللغة على الكشف والبيان والإيضاح والتفصيل ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.^(٩)

كما يطلق ويراد به التأويل ومنه قوله تعالى: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾.^(١٠) يقول ابن كثير في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.

ثانياً: التفسير اصطلاحاً:

لقد تنوعت أقوال أهل العلم في تعريف التفسير اصطلاحاً: فعرفه أبو حيان الأندلسي بأنه: "علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب وتنمات لذلك، ثم خرج التعريف فقال: فقولنا: علم، هو جنس يشمل سائر العلوم، وقولنا: يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، هذا هو علم القراءات، وقولنا: ومدلولاتها، أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يُحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية، هذا يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع، وقولنا: ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب، يشمل ما دلّته عليه بالحقيقة، وما دلّته عليه بالمجاز؛ فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئاً ويصد عن الحمل على الظاهر صاد، فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر وهو المجاز، وقولنا: وتنمات لذلك، هو معرفة النسخ، وسبب النزول، وتوضيح ما انبهم في القرآن، ونحو ذلك."^(١١)

(٥) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٨٨، ج ٢، ص ١٤٧.

(٦) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، مادة (فسر)، ٥ / ٥٥، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

(٧) المرجع السابق، مادة (سفر)، ٤ / ٣٦٩.

(٨) أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٤٢٠هـ، ص ١٠.

(٩) سورة الفرقان، الآية: ٣٣.

(١٠) سورة يوسف، الآية: ٣٦.

(١١) جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، ص ٤٦٢.

وعرفه الزركشي بأنه: "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد (ﷺ)، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من: علم اللغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ"^(١٢).

وعرفه السيوطي (٢٠٠٦، ٤٥٠) بأنه: "علم نزول الآيات وشئونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيّها ومدنيّها، ومُحكّمها ومُتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصّتها وعامّتها، ومطلقها ومقيّدتها، ومجملها ومفسّرها، وحلالها وحرامها، ووعدّها ووعدّها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمّثالها"^(١٣).

وهذه التعاريف وإن اختلفت ألفاظها، إلا أنها متحدة من جهة الهدف والمعنى، وتتفق على أن التفسير علم يبحث عن مراد الله تعالى على قدر الطاقة البشرية، كما أنه يوجد اتفاق بين المعنى الاصطلاحي واللغوي في التبيين والتوضيح.

المطلب الثاني: التفسير التحليلي

أولاً: تعريف التفسير التحليلي:

يتألف مصطلح التفسير التحليلي من جزأين مركبا تركيباً وصفيّاً. (التفسير) و(التحليلي). فالتفسير في اللغة: مصدر على وزن تفعيل، فعله الثلاثي "فَسَّرَ" والفعل الماضي من المصدر "تَفَسَّرَ" مضعف بالتشديد وهو "فَسَّرَ يُفَسِّرُ تَفْسِيراً" أي: هو الكشف والبيان والتوضيح للمعنى المعقول وإزالة إشكاله وكشف مراد الله فيه.^(١٤)

والتفسير في الاصطلاح: علم يكشف به عن معاني آيات القرآن وبيان مراد الله تعالى حسب الطاقة البشرية.^(١٥)

التحليلي:

التحليل لغة: مشتق من الحل. والحل: من حَلَّ العُقْدَةَ (وفكّها)^(١٦).

أما تعريف مصطلح التفسير التحليلي:

فهو تفكيك النظم الكريم إلى عناصره الأولية ودراستها بغرض التعرف على مواطن الجمال والكمال والإعجاز في كتاب الله تعالى.^(١٧)

(١٢) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، دت، ج ١، ص ٢٢.

(١٣) جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج ٢، مرجع سابق، ص ٤٥٠.

(١٤) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرّاعب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق بيروت - دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢هـ، ج ١، ص ٦٣٦.

(١٥) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ط الرابعة، دار القلم، ٢٠٠٥م، ج ١، ص ١٥.

(١٦) الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس (دار الهداية) مادة "حل"، ٣١٨١٢٨ المناوي، محمد عبد الرؤوف: التوقيف على مهمات التعاريف، بيروت، دمشق، دار الفكر، ١٤١٠هـ، ج ١، ص ٢٣٩.

(١٧) جمال أبو حسان: التجديد في التفسير مادة ومنهاجاً، كلية الشريعة - جامعة الزرقاء الأهلية الأردن نشره في موقع مكتبة شبكة التفسير والدراسات القرآنية www.tafsir.net. ١٤١١.

فالتفسير التحليلي: إذن هو أن يعتمد المفسر إلى آية أو مجموعة من الآيات ذات الارتباط الموضوعي أو النحوي إلى القصد إلى جزئياتها من الحديث عن بيان معاني المفردات والكلمات وأصولها الاشتقاقية وصيغها الصرفية ثم الكلام على الأعراب والقراءات ثم الحديث عن الأساليب البلاغية في الآية وربما انجز الكلام إلى التوسع في بعض ما له علاقة بالآية من قريب أو بعيد وهذه هي طريقة المتقدمين في التفسير^(١٨).

ثانياً: نشأة التفسير التحليلي وألوانه:

إن التفسير القديم كان يتخذ شكلاً واحداً عند جميع المفسرين السابقين وهو ما يسمى اليوم بالتفسير التحليلي، ويمكننا أن نلاحظ هذا بوضوح فيما بين أيدينا من التفاسير، فمثلاً: أقدم تفسير مطبوع هو تفسير مقاتل بن سليمان المتوفى سنة ١٥٠ للهجرة،^(١٩) وبأدنى تأمل ترى هذا الأمر واضحاً فيه كل الوضوح، ثم تتابع الأمر على ذلك، حتى وصل إلى عصرنا الحاضر، فمثلاً: في التفاسير المعاصرة مع وجود التمايز بين هذه التفاسير قديماً وحديثاً باختلاف شخصيات المفسرين، وأفهام الناس تتفاوت في فهم القرآن، فكل تفسير ينطبع فيه آثار شخصية مؤلفة، وتختلف المعرفة من شخص لآخر عبر القرون وهذا من الاختلافات التي هي من شأن البشر وضرورة تمايزهم. نجد هذه الطريقة عند (محمد رشيد رضا)^(٢٠) وعند القاسمي^(٢١) وعند إسماعيل حقي البرسوي^(٢٢)، ويتفاوت المفسرون فيما بينهم أداء لهذا النوع من التفسير الذي يصطبغ بصبغة مؤلفه فيه، ويمكننا أن نطالع أي تفسير في هذا الشأن لنرى كيف يتأثر بدراسة مؤلفه وثقافته.

(١٨) المصدر السابق، ج ٧ ص ٧.

(١٩) هو الإمام الحبر المفسر أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزد المروزي، صاحب التفسير المشهور البلخي أصله من بلخ انتقل إلى الصرة، ودخل بغداد فحدث بها. وتوفي (١٥٠هـ)، ألف تفسيراً شاملاً للقرآن وهو على ما يبدو أول كتاب تفسير كامل وصلنا. [انظر: الأعلام للزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، ط الخامسة عشر، (دار العلم للملايين، ٢٠٠٢ م) (٢٨١١٧)].

(٢٠) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الأدب والتاريخ والتفسير، ولد ونشأ في القلمون، وتعلم فيها وفي طرابلس، وتتسك، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥هـ، فلزم الشيخ محمد عبده وتلمذ له، وكان قد اتصل به قبل ذلك في بيروت، ثم أصدر مجلة (المنار) أصدر منها ٣٤ مجلداً، و(تفسير القرآن الكريم _ ط ١) اثنا عشر مجلداً منه، ولم يكمله، انظر الأعلام للزركلي (١٢٦٦).

(٢١) تفسير القاسمي واسمه محاسن التأويل. تأليف محمد جمال الدين القاسمي أو محمد جمال الدين، من سلالة الحسين السبط: إمام الشام في عصره، عالم بالدين، وتضلعت من فنون الأدب وكان سلفي العقيدة، من مصنفاته: محاسن التأويل في ١٧ مجلداً في تفسير القرآن الكريم وديوان خطب والفتوى في الإسلام وتبنيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب وجوامع الآداب في أخلاق الإنجاب مولده ووفاته في دمشق. ١٣٣٢ هـ انظر: كتاب: مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح، ط الرابعة والعشرون كانون الثاني / يناير ٢٠٠٠، (دار العلم للملايين).

(٢٢) هو الإمام الشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء، متصوف مفسر، تركي مستعرب. ولد في آيدوس Aidos وسكن القسطنطينية، وانتقل إلى بروسة، وكان من أتباع الطريقة (الخلوتية) فنفي إلى تكفور طاغ، وأوذى. وعاد إلى بروسة فمات فيها سنة ١٧١٥ م. له كتب عربية وتركية. فمن العربية (روح البيان في التفسير القرآن) أربعة أجزاء، يعرف بتفسير حقي، والرسالة الخليلية في التصوف، و(الأربعون حديثاً) [انظر: الأعلام للزركلي ١/ ٣١٣].

فلو أخذنا مثالا: تفسير أبي حيان الأندلسي ^(٢٣) وتفسير القرطبي ^(٢٤) فإننا نجد التفسير الأول وقد برزت فيه العناية الفائقة لدراسة الآيات القرآنية من جهة لغوية أكثر من غيرها من أية جهة أخرى، وما هذا إلا لأن أبا حيان الأندلسي كان ضليعا في النحو واللغة.

المطلب الثالث: عناية الأمة بتفسير القرآن الكريم:

نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاه عنه أصحابه، ثم تلقاه عنهم المسلمون، وعنوا به عناية كبيرة، وكان من أوجه عنايتهم به عنايتهم بتفسيره.

أولاً: عناية الصحابة بتفسير القرآن الكريم:

كان الصحابة يعنون بتفسير القرآن، حتى كان منهم من اشتهر بذلك ^(٢٥)، فصرفوا حياتهم ووقتهم في فهم معاني القرآن الكريم، ومن هؤلاء:

- عبد الله بن عباس ^(٢٦) رضي الله عنهما:

حبر الأمة، وترجمان القرآن ^(٢٧)، وإمام المفسرين، الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل" ^(٢٨)، وقد ورد عنه في التفسير ما لا يحصى كثرة، وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان من قراء الصحابة، وسيد الحفاظ ^(٢٩).

- عبد الله بن مسعود ^(٣٠) رضي الله عنه:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خذوا القرآن من أربعة: من ابن أم عبد -أي عبد الله بن مسعود- فبدأ به، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وسالم مولى أبي حذيفة" ^(٣١).

وقال عبد الله بن مسعود: "والله، لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم"، قال الراوي: فجلست في الحلق أسمع ما يقولون، فما سمعتُ رادًا يقول غير ذلك ^(٣٢).

وقال رضي الله عنه -كما في الرواية الصحيحة عنه-: "والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب

^(٢٣) صاحب البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، هو العلامة: محمد بن يوسف بن علي يوسف بن حيان الشيخ الإمام الحافظ فريد العصر وشيخ الزمان وإمام النحاة أثير الدين أبو حيان الغرناطي، له اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وتواريخهم وحوادثهم توفي في منزله خارج باب البحر بظاهر القاهرة في الثامن والعشرين من صفر سنة ١٤٥ هـ، ودُفن بمقابر باب النصر شمال القاهرة. [انظر: الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك، الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث، ٢٠٠٠م، ١٩٢/٢].

^(٢٤) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين، صالح متعبدا، من أهل قرطبة. قال الذهبي إمام متقن متبحر في العلم له تصانيف مفيدة تدل على إمامته وكثرة اطلاعه ووفور فضله وكان ورعا متعبدا، طارحا للتكلف، يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية. رحل إلى الشرق واستقر بمدينة ابن خضيب (في شمال أسبوط بمصر) وتوفي سنة ٦٧١ هـ من كتبه "الجامع لأحكام القرآن" عشرون جزءا، يعرف بتفسير القرطبي، و "قمع الحرص بالزهد والقناعة" و "الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" [انظر الأعلام للزركلي ٣٢٢/٥ والأندروني: أحمد بن محمد الأندلسي، طبقات المفسرين، ط الأولى، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي (١ السعودية - / مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) ٢٤٦.

الله تبليغه للإبل لركبت إليه^(٣٣).

ومن الصحابة رضي الله عنهم من ورد عنه اليسير في تفسير القرآن الكريم، ومن هؤلاء^(٣٤) عمر وعلي وأبي بن كعب و عبد الله بن عمر^(٣٥) رضي الله عنهم:

روى مالك في الموطأ أن ابن عمر رضي الله عنه مكث في تعلم سورة البقرة ثمانين سنين^(٣٦)، فلما أتمها نحر بدنة شكرًا لله تعالى، وهو لا شك كان يتعلم البقرة ألفاظًا ومعاني، وإلا فصغار الطلبة اليوم في المدارس الابتدائية يحفظون سورة البقرة في أسبوع أو في شهر، حاشا ابن عمر أن يحتاج إلى ثمانين سنين في حفظ ألفاظها فحسب؛ بل كان يتقهما ويتلقاها ألفاظًا ومعاني.

ثانياً: عناية التابعين بتفسير القرآن الكريم:

وكذلك التابعون تلقوا التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم، فكان منهم أئمة في التفسير كمجاهد بن جبر المكي^(٣٧)، الذي يقول فيه سفيان الثوري: "إذا جاعك التفسير من مجاهد فحسبك به"^(٣٨)، وليس هذا بغريب؛ فقد تلقى عن ابن عباس، حتى إنه كان يقول: "عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه

^(٣٥) اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير. وأكثر من روي عنه من الخلفاء الأربعة هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والرواية عن الثلاثة الأولين قليلة جداً. انظر: السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٩٣.

^(٣٦) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو العباس، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات، وتوفي رضي الله عنه سنة (٦٨) هـ. انظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج: ٤، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت - لبنان: دار الجيل، ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م) ص ٤٤، ص ١٤١-١٥١.

^(٣٧) أخرج ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٢٢٠)، وأحمد في فضائل الصحابة (١٥٥٦)، والحاكم في المستدرک (٦٢٩١)، والبيهقي في المدخل إلى السنن (١٢٦)، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "نعم ترجمان القرآن ابن عباس". قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. اهـ.

^(٣٨) أخرجه البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

^(٣٩) انظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٤١-١٥١.

^(٤٠) عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أحد السابقين الأولين، أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم، وحدث عنه بالكثير. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من سره أن يقرأ القرآن غصاً كما نزل، فليقرأ على قراءة ابن أم عبد". أي: ابن مسعود.

^(٤١) مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، (٢٤٦٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

^(٤٢) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، (٥٠٠٠)، ومسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، (٢٤٦٢)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

^(٤٣) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، (٥٠٠٢)، ومسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، (٣٤٦٣)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

^(٤٤) ومنهم أيضاً: أنس بن مالك، وأبو هريرة، وجابر ابن عبد الله الأنصاري، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم.

^(٤٥) عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو عبد الرحمن المكي، أسلم قديماً وهو صغير وهاجر مع أبيه، واستصغر في أحد ثم شهد الخندق وبيعة الرضوان والمشاهد بعدها، توفي سنة (٧٣) هـ. انظر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، دار المعارف، ١٣٢٧ هـ، ج ٥، ص ٢٨٧، ٢٨٨.

^(٤٦) أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري: موطأ مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥ م، ص ٤٧٧.

^(٤٧) أبو مجاهد بن جبر، الإمام شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي الأسود مولى السائب بن أبي السائب المخزومي القارئ، روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه، توفي وهو ساجد سنة (١٠٤) هـ. انظر: شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧ هـ، ج ٤، ص ٤٤٩-٤٥٦.

^(٤٨) ابن كثير، تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج ١، ص ٦.

عند كل آية^(٣٩).

وكنك ممن عرف بالتفسير من التابعين: قتادة^(٤٠)، وعكرمة^(٤١)، والسدي^(٤٢)، وغيرهم كثير من التابعين وأتباعهم^(٤٣).

ثالثاً: المصنّفات في التفسير:

ثم انتهى الأمر إلى الأئمة المصنّفين، فصنّفوا مئات - بل ألوف - الكتب في تفسير كتاب الله تعالى بمختلف الفنون، فأهل اللغة صنّفوا كتباً في تفسير القرآن من النواحي اللغوية؛ في الإعراب، والبلاغة، والبيان، والبدیع، وغيرها^(٤٤).

وأهل الفقه صنّفوا كتباً في معاني آيات الأحكام، وتفسيرها، ودلالاتها، واختلاف العلماء فيها^(٤٥).

وأهل الحديث صنّفوا كتباً في جمع الروايات التي وردت في تفسير معاني كتاب الله تعالى^(٤٦).

وهكذا أهل كل فن صنّفوا كتباً في التفسير، تتناول القرآن من الزاوية التي يحسنونها ويتحدثون فيها، وهذه الكتب لا شك فيها الغث والسمين، والقوي والضعيف، والجيد والردّيء؛ بل إن بعض الذين فسّروا القرآن الكريم، فسروه ليوافق ما لديهم من الأغراض، سواء أكانت حقاً أم باطلاً.

فالمعتزلة - مثلاً - منهم من فسّر القرآن ليخدم مذهبه الفاسد، كما فعل القاضي عبد الجبار^(٤٧) في

(٣٩) أخرجه ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري: الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، ٢٠٠١، ج ٢، ص ٣٩٥، وابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم أبي شيبة العيسى أبو بكر: مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: أسامة بن إبراهيم بن محمد أبو محمد، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ٢٠٠٨م، (٣٠٢٨٧)، والطبري: تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: بشار عواد معروف - عصام فارس الحرساني، مؤسسة الرسالة، د. ت (٣٩٥/٢)، والإمام الحافظ، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرک على الصحيحين، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥ (٣١٠٥).

(٤٠) قتادة بن دعامه بن قتادة بن عزيز، وقيل: قتادة بن دعامه ابن عكابة، حافظ العصر، قوة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب السدوسي البصري الضريز الأكمه، كان من أوعية العلم وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ. قال معمر: سمعت قتادة يقول: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً. وكان رحمه الله يختم القرآن في سبع، وإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث، فإذا جاء العشر ختم كل ليلة. قال أحمد بن حنبل: كان قتادة عالماً بالتفسير وباختلاف العلماء. توفي بواسط سنة (١١٧) هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٦٩-٢٨٢.

(٤١) عكرمة الحبر العالم أبو عبد الله البربري ثم المدني الهاشمي، مولى ابن عباس. قال عكرمة: طلبت العلم أربعين سنة، وكان ابن عباس يضع الكبل في رجلي على تعليم القرآن والسنن، وعن الشعبي قال: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة، وكان الحسن إذا قدم عكرمة البصرة أمسك عن التفسير والفتيا ما دام عكرمة بالبصرة. مات رحمه الله بالمدينة سنة (١٠٧) هـ. انظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي شمس الدين أبو عبد الله: تذكرة الحفاظ، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م، ج ١، ص ٩٥.

(٤٢) السدي إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الإمام المفسر، أبو محمد الحجازي ثم الكوفي الأعور السدي، أحد موالى قريش. قال إسماعيل بن أبي خالد: كان السدي أعلم بالقرآن من الشعبي رحمه الله، ومروا إبراهيم النخعي بالسدي وهو يفسر، فقال: إنه ليفسر تفسير القوم. مات سنة (١٢٧) هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٦٤، ٢٦٥.

(٤٣) اشتهر بالتفسير من التابعين كثيرون، فمنهم:

- أهل مكة: وهم أتباع ابن عباس، كمجاهد، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح.

- أهل المدينة: وهم أتباع أبي بن كعب، كزيد بن أسلم، وأبي العالية، ومحمد بن كعب القرظي.

- أهل الكوفة: وهم أتباع عبد الله بن مسعود، كقتادة، وعلقمة، والشعبي.

(٤٤) ومن ذلك: البحر المحيط لأبي حيان، والكشاف للزمخشري، والبسيط للواحيدي.

(٤٥) ومن ذلك: أحكام القرآن للجصاص، وأحكام القرآن لابن العربي، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

(٤٦) ومن ذلك: جامع البيان للطبري، والكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعالبي، ومعالم التنزيل للبغوي، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير.

تفسيره^(٤٨)، وكما فعل الزمخشري^(٤٩) في كشفه، حيث جعل القرآن دليلاً لمذهبه في الاعتزال^(٥٠). وكذلك بعض المتكلمين، فسروا القرآن ليوافق آراءهم وأصولهم، كما فعل الرازي^(٥١) في تفسيره الكبير^(٥٢)، والمائريدي، وغيرهم.

ومن الصوفية من يفسر القرآن لخدم مذهب الصوفي، كتفسير أبي عبد الرحمن السلمي وغيره^(٥٣). وبعض الفقهاء فسروا آيات الأحكام تفسيراً يخدم اتجاهاتهم المذهبية، ويؤيد ما اختاروه من الأقوال الفقهية.

ووجد من أرباب العلوم -خاصة المعاصرين- من يحاول أن يحمل القرآن وألفاظه ما لا يحتمل من الدلالة على أنواع العلوم العصرية، كما فعل طنطاوي جوهري في تفسيره المسمى "بالجواهر"^(٥٤)، والذي فيه كل شيء إلا التفسير، فهو كتاب في الفلك، والعلوم المادية، والأحياء، والفيزياء، والجيولوجيا، لكن ليس فيه شيء من تفسير القرآن الكريم.

وكما يفعل بعض الذين يتحدثون عما يسمى "الإعجاز العلمي للقرآن"، فإن منهم من يغلو فيحمل ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه ما لا تحتمل؛ لتوافق بعض مكتشفات ومخترعات العلم؛ بل بعض النظريات العلمية التي لم تصل بعد إلى حد أن تكون حقيقة قطعية ثابتة.

المبحث الثاني: التفسير العلمي للقرآن الكريم

المطلب الأول: التعريف بالتفسير العلمي:

التفسير العلمي مصطلح حديث مكون من كلمتين أولاهما: التفسير الذي هو في اللغة: "كشف

(٤٧) هو أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار ابن أحمد بن الخليل الهمداني الأسري الشافعي، شيخ المعتزلة. توفي سنة (٤١٥) هـ. انظر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي: طبقات المفسرين للسيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٣٩٦هـ، ص ٥٩، ٦٠.

(٤٨) ويسمى تنزيه القرآن عن المطاعن، ونجد فيه تأثر مؤلفه العظيم بمذهبه الاعتزالي، فلا يكاد يمر بأية تعارض مذهب إلا صرفها عن ظاهرها، ومال بها إلى ناحية مذهبه.

(٤٩) أبو القاسم، محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، الإمام الحنفي المعتزلي، الملقب بجار الله، توفي سنة (٥٣٨) هـ. انظر: السيوطي، طبقات المفسرين للسيوطي، مرجع سابق، ص ١٢٠، ١٢١.

(٥٠) وهذا التفسير (الكشاف) مشحون بالبدعة، وعلى طريقة المعتزلة من إنكار الصفات والروية، والقول بخلق القرآن، وإنكار أن الله تعالى مريد للكائنات، وخالق لأفعال العباد، وغير ذلك من أصول المعتزلة.

(٥١) أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، الإمام فخر الدين الرازي القرشي البكري، الشافعي المفسر المتكلم. توفي سنة (٦٠٦) هـ. انظر: السيوطي، طبقات المفسرين للسيوطي، مرجع سابق، ص ١١٥.

(٥٢) ويسمى مفاتيح الغيب، قال السيوطي: "وقد ملأ تفسيره -أي الرازي- بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها، وخرج من شيء إلى شيء؛ حتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية، قال أبو حيان في البحر: جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير؛ ولذلك قال بعض العلماء: فيه كل شيء إلا التفسير!". انظر: السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٠١.

(٥٣) ومن تقاسير الصوفية أيضاً: تفسير القرآن العظيم للتستري، وعرائس البيان في حقائق القرآن للشيرازي.

(٥٤) الجواهر في تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوي جوهري، فيه خروج بالقرآن عن قصده، وانحراف به عن هدفه، وهو أحد التقاسير المعاصرة التي تمثل الاتجاه العلمي لتفسير القرآن الكريم، ومن هذه التقاسير أيضاً: كشف الأسرار النورانية القرآنية للإمام الفاضل محمد بن أحمد الإسكندراني، و"طبايع الاستبصار" والاستبعاد للكواكب، و"إعجاز القرآن" للرافعي.

المغطى وبيانه"، كما قال ابن الأعرابي وابن منظور^(٥٥)، ولذا فقد فسّر مجاهد قوله تعالى: (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) [الفرقان: ٣٣] بقوله: بياناً^(٥٦).

ومن هنا فإن توسع بعض المعرّفين للتفسير في الاصطلاح وإدخالهم علومًا أخرى ضمن حد التفسير يُعدّ خروجًا بالتفسير عن حدّه الضابط الذي لا يتعدى: "بيان معاني القرآن"^(٥٧).

ومن أبرز التعريفات التي وقفت عليها الباحثة ما يلي:

١- تعريف الدكتور صلاح الخالدي: تفسير الآيات تفسيرًا علميًا وفق قواعد العلم الحديث وبيان المضامين العلمية للآيات وفق مقررات وتحليلات العلم الحديث^(٥٨).

٢- تعريف آخر للدكتور الخالدي: النظر في الآيات ذات المضامين العلمية من الزاوية العلمية، وتفسيرها تفسيرًا علميًا، وذلك بالاستعانة بالعلوم والمعارف والمكتشفات الحديثة في توسيع مدلولها وتقدير معناها^(٥٩).

٣- تعريف أمين الخولي: التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارة القرآن ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها^(٦٠). وقد نقل موسى شاهين لاشين^(٦١)، ومحمد حسين الذهبي^(٦٢) تعريف الخولي دون إشارة إليه.

٤- تعريف الدكتور محمد لطفي الصباغ: تحكيم مصطلحات العلوم في فهم الآية، والربط بين الآيات الكريمة ومكتشفات العلوم التجريبية والفلكية والفلسفية^(٦٣)، وهو تعريف منقول عن الخولي مع تصرف يسير في العبارة.

٥- تعريف الدكتور عبد الله الأهدل: تفسير الآيات الكونية الواردة في القرآن على ضوء معطيات العلم الحديث^(٦٤).

٦- تعريف الدكتور عبد المجيد المحتسب: التفسير الذي يتوخى أصحابه إخضاع عبارات القرآن للنظريات والاصطلاحات العلمية وبذل أقصى الجهد في استخراج مختلف مسائل العلوم والآراء

(٥٥) ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، (٥٥/٥).

(٥٦) الطبري: جامع البيان، مرجع سابق، (١٢/١٩).

(٥٧) محمد بن صالح العثيمين: أصول في التفسير، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، منشور على موقع المؤسسة (ص: ٢٥).

(٥٨) صالح عبد الفتاح الخالدي: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م، (ص: ٥٦٦).

(٥٩) صالح عبد الفتاح الخالدي: البيان في إعجاز القرآن، دار عمان للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م، (ص: ٢٦٧).

(٦٠) أمين الخولي: التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣م (ص: ١٩).

(٦١) موسى شاهين لاشين: اللآلي الحسان في علوم القرآن، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٢م، (ص: ٣٧٧).

(٦٢) محمد السيد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٠م، (٣/١٤٠).

(٦٣) محمد بن لطفي الصباغ: لمحات من علوم القرآن: المكتب الإسلامي، ١٩٩٠م، (ص: ٢٠٣).

(٦٤) عبد الله الأهدل: التفسير العلمي للقرآن الكريم دراسة وتقويم، رسالة ماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود - كلية أصول الدين - قسم القرآن وعلومه ١٤٠٠ هـ، (ص: ١٥).

الفلسفية منها^(٦٥).

٧- تعريف الدكتور فهد الرومي: اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي، على وجه يظهر به إعجاز القرآن^(٦٦).

٨- تعريف الدكتور أحمد أبو حجر: التفسير الذي يجاول فيه المفسر فهم عبارات القرآن، في ضوء ما أثبتته العلم، والكشف عن سرٍّ من أسرار إعجازه^(٦٧).

٩- تعريف الشيخ عبد المجيد الزنداني: الكشف عن معاني الآية أو الحديث، في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية^(٦٨).

١٠- تعريف د. زغلول النجار: توظيف كل المعارف المتاحة لحسن فهم دلالة الآية القرآنية^(٦٩). والذي يظهر أن المراد بالتفسير العلمي هو: استخدام العلم التجريبي في زيادة إيضاح معاني الآيات القرآنية وتوسيع مدلولاتها.

وهذا التعريف نص على كون العلم التجريبي خادماً للنص القرآني، وليس حاكماً عليه، كما جاء في بعض التعاريف السابقة؛ كما أن التعريف قصر أثر العلم التجريبي الحديث في زيادة إيضاح المعاني وتوسيع المدلولات، لأن معاني الآيات القرآنية كانت واضحة للصحابة والسلف الصالح، وإنما أسهم العلم التجريبي الحديث في زيادة الإيضاح وتوسيع الدلالة.

وإن أردنا أن نصيّق الدائرة ونعرّف التفسير العلمي بما يُفترض أن يكون عليه وليس بمجرد واقعه السائد، فإننا نضيف كلمة (حقائق) قبل كلمة (العلم التجريبي) لنحصر التفسير العلمي في دائرة الحقائق العلمية لا النظريات والفرضيات التي يجيز بعض المعاصرين توظيفها في فهم دلالة الآية القرآنية^(٧٠).

المطلب الثاني: تفسير القرآن الكريم والمعرفة العلمية:

يمثل هذا الجزء من البحث مدخلاً نمر به علي بداية حركة تفسير القرآن الكريم وتراكم المعرفة التفسيرية ومحفزات تطويرها منذ بداية الإسلام حتى التقائها بالمعرفة العلمية في العصر الحاضر، هذه المعرفة العلمية المستندة على التجربة والمشاهدة والتي فرضت نفسها علينا بقوة الزمن وضرورة اللجوء إلى معطياتها العلمية والاستفادة منها في علم التفسير.

(٦٥) عبد المجيد عبد السلام المحتسب: اتجاهات التفسير في العصر الحديث، مكتبة النهضة الإسلامية، ١٩٨٢م، (ص: ٢٤٧).

(٦٦) فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، ١٩٨٦م، (٥٤٩/٢).

(٦٧) أحمد أبو حجر: التفسير العلمي للقرآن في الميزان، بيروت، دار قتيبة، (ص: ٧٢).

(٦٨) عبد المجيد الزنداني وآخرون: تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابطة العالم الإسلامي، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكة المكرمة، ١٤٢١هـ، (ص: ٣٣).

(٦٩) زغلول محمد راغب النجار: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، دار المعرفة للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م (ص: ٣٥).

(٧٠) المرجع السابق، (ص: ٣٥).

لقد لقي النص القرآني منذ بداية التنزيل عناية فائقة من أجل حفظه وفهمه وتطبيقه حيث كان الرسول عليه الصلاة والسلام يكشف ما استغلّق من الآيات ويفصّل ما أجمل من المعاني، لذلك ظلّ التفسير في مراحل الأولى لصيقاً بالحديث النبوي طوال القرن الهجري الأول حتّى منتصف القرن الثاني، ومع عصر التدوين تواصل التداخل بين التفسير والحديث، فظهرت في مدونات الحديث النبوي أبواب خاصة بالتفسير دون إحاطة كاملة بالنص القرآني، ثمّ تمّ جمع المتفرّق من تلك الموضوعات لتصاغ في تفاسير شاملة ومستقلة.

إذن ظهور تفسير للنص القرآني علماً مستقلاً لم يكن حدثاً مفاجئاً؛ بل ظهر اعتماد الرأي في التفسير مبكراً جدّاً؛ فقد مارس الصحابة - بصفة محدودة - منذ عصر النبوة الاجتهاد في التعامل مع النص عندما لم يتمكنوا من اللقاء بالرسول صلى الله عليه وسلم كما وجد من التابعين من كان يفسّر القرآن برأيه.^(٧١)

وبرغم هذه الاستقلالية المبكرة للتفسير كان فهم النص القرآني يستند أساساً إلى مرجعية الأثر النبوي، ثم انتقل التفسير إلى أفق يضمّ مرجعية التجربة الإنسانية الجديدة التي رسمت معالمها تحولات سياسية واجتماعية وفكرية ناتجة عن الفتوحات الإسلامية وحركة الترجمة والاختلاط بشعوب البلاد المفتوحة، وهكذا ظهرت تفاسير لكامل آيات القرآن الكريم مجيبة عن أسئلة ومشاكل ما كانت لتثار بأيّ حال قبل مرحلة تلك التحولات الفكرية والثقافية.

إن النص القرآني القائم على اشتغال ما هو غيبي وما هو عقلي وتفاعلهما، وليس تناقضهما أو تنافيهما هو الذي ساعد على توسيع دائرة تفسير القرآن بالرأي ثم ما لبثت هذه الدائرة تتداح على مر الأزمان رويداً رويداً حتّى التقت بالمعرفة العلمية التي تفجرت منها النهضة العلمية العالمية في عصرنا الحاضر.

فالمعرفة العلمية التي ننعم بثمراتها ليل نهار تشكل القاعدة التي يجب أن ننطلق منها لإشباع رغباتنا العلمية التي تصب في منتهائها في قوله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: ٥٦) والمقصود العبادة بمعناها الواسع الذي يشمل الجانب العلمي والبحثي فهذه هي هويتنا المعرفية نحن المسلمين بل نحن أولى بها من غيرنا.

وإذا جاز لنا أن نسمي المعرفة العلمية هويتنا المعرفية فإننا نجد أن القرآن الكريم قد حسم إشكالية الهوية المعرفية فهو البيان المصور والمفصل للكون والإنسان، والمجيب عن كل التساؤلات والمنير لكل القضايا التي تؤهل فكر الإنسان لاكتشاف السنن يقول تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (النساء: ٢٦)

(٧١) أحميدة النيفر، التفسير العلمي وتغلّط المنظومة الثقافية الإسلامية شبكة إسلام أون لاين، الشبكة الدولية للمعلومات.

كذلك أن القرآن الكريم قدم بناء معرفياً متيناً قام على الاتساق والتكامل بين ظواهر الكون وحقائق الإنسان وغاية الوجود، وفي نفس الوقت أسس لنا وبطريق علمي دقيق مصدر المعارف ووسائلها وأنواعها ومجالاتها ومميزاتها، ومنه تعلمنا أن للمعرفة مصدرين رئيسيين متكاملين:

١. الوحي الإلهي: القرآن والسنة النبوية أي الكتاب المسطور.

٢. الوجود الكوني: الأشياء المشاهدة في الكون أي الكتاب المنظور.

وبين المصدرين تشابه ووحدانية واتساق وتكامل لأنهما ينطلقان بنفس الحقائق ويتسمان بنفس الخصائص حتى "أصبح الوحي كونه مقروءاً والوجود الكوني وحيّاً منظوراً"^(٧٢) وهذا هو مفهوم التكامل المعرفي بين (علوم الوحي وعلوم الكون) الذي انطلقت منه فكرة هذا المؤتمر الذي تقدم فيه هذه الورقة، وفي ظلال ما قدمه لنا القرآن الكريم تولدت بعض المصطلحات التي نحن بصدددها.

في ظلال هذه المعرفة العلمية كان لا بد أن يزدهر التفسير العلمي وكذلك الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، فنجد أن مصطلحي الإعجاز العلمي والتفسير العلمي من المصطلحات التي استحدثت ثم شاعت في العصر الحديث، وصار من المعلوم أن مثل هذه المصطلحات تفيد تأويل بعض الآيات القرآنية بما يتفق مع بعض النظريات أو الاكتشافات الحديثة. بصفة خاصة. في مجال العلوم الطبيعية من حيث كونها لفتت أنظار نفر من الباحثين المسلمين أن هناك إشارات لها في كتاب الله (القرآن الكريم) يجب الوقوف عندها واستجلاءها لتطمئن القلوب بأن هذا القرآن حق من عند الله تعالى فيزداد الذين آمنوا إيماناً مع إيمانهم، ويزداد البرهان سطوعاً والحجة إشراقاً لمن لم يعتقد فيه ولم يؤمن به.

في العصر الحاضر لاحظ العلماء المسلمون والباحثون المهتمون بميدان العلوم الطبيعية أن أهل العلوم الكونية من العالم الغربي يقضون عشرات السنين في البحث عن تفسير لبعض الظواهر الكونية وعندما يجدوها، يكتشف علماءنا أن القرآن الكريم قد أورد في شأنها إشارات وبين أمرها قبل ١٤٠٠ عام. فوقف عند تلك الإشارات العلمية في القرآن الكريم عدد غير قليل من الباحثين والمؤلفين والعلماء المعاصرين الذين حاولوا التوفيق بين المعنى القرآني وبين المسائل العلمية وكتبوا في ذلك بحوثاً وألفوا كتباً عديدة كبيرة وصغيرة ورسائل وأشرطة سمعية ومشاهدة وبثوه في الشبكة الدولية للمعلومات وتحدثوا عنه في الفضائيات والقنوات التلفزيونية وعقدوا له الندوات والمحاضرات والحلقات والمؤتمرات وبذلوا فيه جهوداً كبيرة ونشروه على نطاق واسع وقد عرفت تلك الجهود بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

نشير إلى أن قسماً من أولئك الباحثين أفرطوا في هذا الأمر حيناً وتكلفوا في كثير من الأحيان، وهذا القسم تسبب في ظهور الذين ينكرون هذا التوفيق من أساسه وهم (أهل التفريط) كما سماهم الأستاذ الدكتور سعاد يلدريم^(٧٣)، غير أننا نحسب أن معظم هؤلاء العلماء المفسرين اقتصدوا في هذا الأمر ولم يضلوا.

(٧٢) الشيخ محمد الفاضل، نقلاً عن موقع البوكرابي بالشبكة الدولية للمعلومات

(٧٣) سعاد يلدريم، مستندات التوفيق بين النصوص القرآنية وبين النتائج العلمية، المصدر موسوعة الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة موقع الدعوة

ولأن هذا العصر هو عصر العلم فعنئذ تتأكد لنا حتمية التكامل بين علوم الوحي وعلوم الكون أكثر من أي وقت مضى، رغم أنه ليس من السهل تفسير ظاهرة من الظواهر الكونية ثم اكتشاف وجود هذا التفسير قد سبق إليه القرآن الكريم، فالجمع بين علوم القرآن، وعلوم الكون أمر صعب، وليس بالسهل ولا باليسير.

ولكن بالرغم من ذلك ينبغي أن يكون الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والتفسير العلمي أحد الاهتمامات الأساسية للعلماء المسلمين وهو أمر يصلح استغلاله تماماً للدعوة إلى دين الإسلام. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هل هناك فوارق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي؟

المطلب الثالث: التفسير العلمي والإعجاز العلمي:

من أكثر الأسباب التي أدت إلى تباين المواقف حول التفسير العلمي قبولاً أو رداً الخلط بينه وبين الإعجاز العلمي، حتى في أوساط بعض المتخصصين في هذا المجال، بل إن منهم من يراها شيئاً واحداً.

فهل كل آية تتضمن إشارة علمية في قضية كونية أو طبية أو نحوها تحمل إعجازاً علمياً بالمعنى الدقيق للإعجاز؟

لقد تفاوتت آراء الباحثين المعاصرين في التمييز بين "التفسير العلمي" و"الإعجاز العلمي" يذكر الأستاذ علي أسعد في حديثه عن الإعجاز العلمي^(٧٤) أن من الباحثين من جعل المراد منهما واحداً كالدكتور أحمد عمر أبو حجر، فهو لم يميز بين التفسير العلمي والإعجاز، بل جعل غاية المراد من التفسير العلمي تحقيق الإعجاز القرآني؛ لإثبات أن القرآن الكريم من عند الله عز وجل.

ومنهم من حاول التمييز بينهما مثل الدكتور فهد الرومي في تعريفه للتفسير العلمي فقد حاول التمييز، فهو لا يحصر التفسير العلمي في الصلة بين الآية ومكتشفات العلم التجريبي بدلالة اللفظ، إنما يكفي مجرد الاستئناس بهذه العلوم في قضية من قضايا الآية، حتى يطلق على هذا مصطلح التفسير العلمي وهذا يختلف عن الإعجاز العلمي الذي يكشف تلك الصلة.

والذي تتبناه الباحثة هو أن هناك فرقاً بينهما فالتفسير العلمي: هو الكشف عن معاني الآية في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية أو هو إبراز الحقائق القرآنية التي أشارت إلى الحقائق الكونية المتعلقة بالآفاق والأنفس، والتي جاء العلم الحديث موافقاً لها، إذن التفسير العلمي امتداد لأي نوع من أنواع التفاسير الأخرى المشار إليها أنفاً وبهذا المعنى يصبح التفسير العلمي ظني الدلالة.

وأما الإعجاز العلمي: فهو بذل الجهد للإخبار بأن القرآن الكريم تضمن حقيقة أثبتتها العلم التجريبي أخيراً وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بما يقود

بالشبكة الدولية للمعلومات إعداد الفلوجة.

(٧٤) علي أسعد، الإعجاز العلمي للقرآن: رؤية نقدية موقع إسلام أون لاين، الشبكة الدولية للمعلومات.

إلى القطع بأن هذا القرآن هو من عند الخالق سبحانه وتعالى، وبهذا يصبح الإعجاز العلمي قطعي الدلالة.

والواقع أن الإعجاز العلمي لا يعدو كونه صورة من صور التفسير العلمي، فكل إعجاز علمي تفسير علمي، وليس كل تفسير علمي إعجازاً علمياً، حيث إن التفسير العلمي أوسع من الإعجاز العلمي بل يستوعب في ثناياه الإعجاز العلمي ومن ثم يكشف عنه ويظهره.

ويؤكد ذلك ما ذكره الأستاذ علي أسعد^(٧٥) في مقارنته حيث ذكر أن الشيخ "رشيد رضا" يجعل الإعجاز العلمي شكلاً من أشكال التفسير العلمي إذ إنه لا يقول بجميع أشكال التفسير العلمي، وإنما يقصرها على الإعجاز العلمي الذي يجعله قسمين، الأول: هو عجز العلوم عن أن تبطل أو تنقض شيئاً من القرآن الكريم، رغم أن ما ذكر فيه كان منذ أربعة عشر قرناً والثاني: وهو ذكر القرآن الكريم لمسائل علمية لم تكن معروفة في عصر نزوله، تم اكتشافها في هذا العصر.

ويشير علي أسعد إلى أن الدكتور "محمد الصادق عرجون" يقصر التفسير العلمي على زيادة بيان المعنى القرآني بالعلوم، في سبيل تبيان الهداية الإلهية التي أودعها الله في القرآن؛ فهذه العلوم إنما تكون مساعدة "في بيان المعنى الذي يهدي إليه أسلوب الآيات، ويكون هذا التفسير بمثابة دائرة معارف قرآنية تسد لدى العالم الإسلامي فراغاً يشعر به كل مسلم.

وبطريقة أكثر وضوحاً يبين الشيخ عبد المجيد الزنداني^(٧٦) الفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي حيث يقول: التفسير العلمي: هو الكشف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية.

أما الإعجاز العلمي: فهو إخبار القرآن الكريم، أو السنة النبوية، بحقيقة أثبتتها العلم التجريبي أخيراً، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية، في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم. وهكذا يظهر اشتغال القرآن أو الحديث على الحقيقة الكونية، فيؤول إليها المفسر معنى الآية أو الحديث، ويشاهد الناس مصداقها في الكون، فيستقر عندها التفسير، ويعلم بها التأويل، كما قال تعالى (لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) (الأنعام ٦٧).

كذلك يرى الأستاذ الدكتور زغلول النجار أن هناك فوارق يقول إنها {هائلة} بين التفسير والإعجاز، خاصة التفسير العلمي والإعجاز العلمي، فهو يوافق على أن مفهوم الإعجاز باختصار هو: عجز الإنسان أن يأتي بمثل ما جاء به القرآن في أي جانب من هذه الجوانب^(٧٧) بينما يبقى التفسير محاولة بشرية لحسن فهم دلالة الآية القرآنية، بما في ذلك توظيف المعارف المتاحة في زمان المفسر لإضافة بُعد

^(٧٥) المرجع السابق.

^(٧٦) عبد المجيد الزنداني، المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مرجع سابق.

^(٧٧) زغلول النجار، برنامج بلا حدود بقناة الجزيرة الفضائية ١٦/١٢/١٩٩٩م، المصدر موقع قناة الجزيرة بالشبكة الدولية للمعلومات.

جديد.. للقرآن الكريم، ويضيف النجار بأن المقصود بالتفسير العلمي هو محاولة فهم دلالة الآيات الكونية في كتاب الله في إطار المعرفة العلمية المتاحة للعصر، هذا التفسير العلمي.^(٧٨)

وفي حين قصر بعض الباحثين الإعجاز القرآني على وجه واحد هو الإعجاز البياني اللغوي دون سواه^(٧٩) بدعوى أن معارف الناس وقت نزول القرآن لم تدرك ما تم اكتشافه فيما بعد من العلوم الكونية والطبيعية، فكيف يسوغ حينئذ أن يتحدوا بما لا يملكون آلهة والوسيلة إلى بلوغه إلا أن الصواب أن الله تحدى الإنس والجن أن يأتوا بمثل القرآن في جميع جوانب الإعجاز فيه: الإعجاز البياني، والتاريخي، والإخباري، والتشريعي، والتربوي، والعلمي التجريبي؛ وفي كل عصر يبرز جانب من جوانب الإعجاز القرآني تبعاً لاهتمامات الناس ومعارفهم.

ولو سلمنا جدلاً بقصر الإعجاز على الجانب البياني اللغوي، فكم هي نسبة الذين يتذوقون اللغة ويدركون أسرار البيان فيها اليوم بالنسبة للناطقين بالعربية؟ وكم هي نسبة العرب إلى غير العرب من المسلمين اليوم؟ بل وكم هي نسبتهم بالنسبة إلى أهل الأرض جميعاً الذين تحداهم الله تبارك وتعالى بالقرآن؟.

وعلى الضد من هؤلاء فإن من الباحثين من يؤكد على أن الإعجاز العلمي "قضية مسلمة لا جدال فيها أجمع عليها المسلمون"^(٨٠)، ويذهب بعضهم إلى تعريف الإعجاز العلمي بما يجعله مماثلاً للتفسير العلمي كما حصل من الدكتور غانم قدوري الحمد حين قال أن "الإعجاز العلمي يتناول دراسة الآيات التي وردت فيها إشارة إلى قضايا علمية تتعلق بالفلك أو الطب، أو علمي النبات والحيوان ونحوهما"^(٨١).

بل إن بعض الباحثين يتحفظ على مصطلح الإعجاز العلمي، ويرى استبداله منعاً للخلط واللبس بمصطلح: دلائل صدق القرآن^(٨٢).

وما نخلص إليه أن الإعجاز العلمي في القرآن أو السنة إنما هو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقائق علمية سواء أثبتتها أو لم يثبتها العلم التجريبي، أما التفسير العلمي للقرآن الكريم أو السنة فهو توضيح وشرح ما توصل إليه العالم من حقائق علمية بأسلوب واضح مختصر خاضع للمنهج العلمي مع كشف الصلة بين هذه الحقائق وبين الإشارات العلمية في الآيات القرآنية أو الحديث الشريف على وجه يظهر به إعجاز القرآن أو السنة.

(٧٨) الرجوع السابق.

(٧٩) من مثل محمود شاعر في مقدمة الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي (ص: ١٦) وصلاح الخالدي في إيجاز القرآن (ص: ٢٦٧).

(٨٠) فهد الرومي: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، مرجع سابق، (٢/٢٠١).

(٨١) غانم قدوري الحمد: محاضرات في علوم القرآن للدكتور غانم الحمد، دار عمار، ٢٠٠٣م، (ص: ٢٤٩).

(٨٢) مساعد الطيار: مفهوم التفسير والتأويل، دار ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ، ص (٨).

فالتفسير العلمي يعني محاولة فهم دلالة الآيات الكونية في كتاب الله في إطار المعرفة العلمية المتاحة للعصر الذي نعيشه أو يعيشه غيرنا، أمّا الإعجاز العلمي للقرآن الكريم فهو مواقف تحدّد، فينبغي أن يكون مقصد المشتغل بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم أن يثبت للناس (مسلمين وغير مسلمين) أن هذا القرآن الذي نزل على نبيّ أميٍّ (محمد صلى الله عليه وسلم) قبل ١٤٠٠ سنة، في أمة غالبيتها الساحقة من الأميين قد حكي من الحقائق بهذا الكون ما لم يتوصل الإنسان إلى إدراكه إلا منذ عشرات قليلة من السنين.

والمشتغل بهذه الناحية من كتاب الله أي الإعجاز كما يقول زغلول النجار "يحتاج إلى الخلفية العلمية الراقية، ويحتاج إلى أن لا يوظف إلا القطعي من الأمور لأن هذا الموضوع متخصص على أعلى مستويات التخصص.^(٨٣)

وبالجملة فإن الإعجاز العلمي لا ينفع فيه إلا الاعتماد على النظريات والفروض العلمية التي ثبت صحتها وبصورة قطعية بحيث لا يمكن الرجعة عنها، بخلاف التفسير العلمي فهو ينطوي على جوانب اجتهادية فالمفسر إذا أصاب فيه فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر واحد.

إن المفسر العلمي مثله مثل المفسرين الآخرين الذي ينطلقون من أسس لغوية أو فقهية أو نحو ذلك فالخطأ إذا حدث من المفسر لا يحسب على دلالة القرآن ولا يطال شيئاً من قدسيته، خلافاً لقضية الإعجاز في القرآن فهي مسألة تمس جوهر كتاب الله ووظيفته الأساسية فلا يستقيم أن نقول عن قضية علمية غير ثابتة أنها من إعجاز القرآن ثم إذا اتضح عدم ثباتها فيما بعد فيماذا نرد؟ فهل نقول إن القرآن غير معجز؟

ومن هنا فإن بيان العلاقة بين مصطلحي التفسير والإعجاز العلمي يزيل خطأ منهجياً وقع فيه بعض المتخصصين، وكانوا فيه على طرفين، والصواب هو التوسط بينهما، فليس التفسير العلمي مرادفاً للإعجاز العلمي وإلا لاعتبرا شيئاً واحداً، كما أنهما ليسا منفصلين متباينين، بل إن بينهما عمومًا وخصوصًا ودائرة أحدهما أوسع من الآخر.

فكل إعجاز علمي فهو يُعرف من خلال التفسير العلمي، وليس كل تفسير علمي قابلاً لأن يكون إعجازاً علمياً تقوم به الحجة على غير المسلمين.

ولا يشغب على هذا البيان ما يشترطه الأشاعرة في المعجزة من ضرورة وقوع التحدي بها، حيث قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهم يقولون: المعجزة هي الخارق المقرون بالتحدي بالمثل وعدم المعارضة"^(٨٤).

المطلب الرابع: تطور الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم:

مع أن العصر الحديث شهد طفرة هائلة في المؤلفات في التفسير العلمي، إلا أن بدايات ظهور

(٨٣) المرجع السابق.

(٨٤) ابن تيمية: النبوات، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠م، (٢/٩٥١).

هذا اللون من التفسير ترجع إلى القرن الخامس الهجري، وتحديدًا إلى أبي حامد الغزالي المتوفى سنة (٥٠٥هـ) الذي دافع عن هذا الاتجاه ودعا إليه بقوة، لأن "العلوم كلها داخلة في أفعال الله عز وجل وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن إشارات إلى مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن، ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك، بل كل ما أشكل فيه على النظارة واختلف الخلاق في النظريات والمقولات ففي القرآن رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها"^(٨٥).

وزاد الغزالي في إيضاح تأييده للتفسير العلمي في كتابه: جواهر القرآن حيث سمي الفصل الخامس منه: "كيفية انشعاب سائر العلوم من القرآن"، فذكر علوم الطب والنجوم وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه، ثم مثل ببعض الآيات التي لا يتم تفسيرها في رأيه إلا بمعرفة بعض العلوم^(٨٦)، كعلم الطب في قوله تعالى: (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) [الشعراء: ٨٠]، وعلم الهيئة والفلك في قوله تعالى: (وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) [يس: ٣٩]، وقوله: (لَنُنَزِّلَ لَكُمْ قُورْآنًا مَّا تُدْرِكُونَ) [الأنعام: ١١٠]، وقوله: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ) [الانفطار: ٦-٧].

ويذكر الغزالي أيضاً أن علياً كرم الله وجهه قال: لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب. فما معناه؟ وتفسير ظاهرها في غاية الاقتصار؟ وذكر قول أبي الدرداء: لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهاً، وذكر أيضاً قول بعض العلماء: لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر. كما ذكر أن تزييد رسول الله صلى الله عليه وسلم "بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة" لا يكون إلا لتدبره باطن معانيها وإلا فترجمتها وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله إلى تكرير. وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر.

وأوضح الغزالي أنه بالجملة العلوم كلها داخلة في أفعال الله عز وجل وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته: وهذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن إشارة إلى مجامعها. والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن، ومجرد ظاهره التفسير لا يشير إلى ذلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم "اقرأوا القرآن والتمسوا غرائبه"^(٨٧).

وخلال القرن السادس برز الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) بوصفه علماً ضخماً من أعلام التفسير العلمي من خلال تفسيره الكبير: "مفاتيح الغيب" بل إنه اشتد كثيراً على من لا يرى هذا التوجه، ووصفهم بالجهل والحمق فقال: "ربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال: إنك أكثر في تفسير كتاب الله -تعالى- من علم الهيئة والنجوم، وذلك على خلاف المعتاد، فيقال لهذا المسكين: إنك لو تأملت في كتاب الله -عز"

(٨٥) عبد المجيد المحتسب: اتجاهات التفسير، مرجع سابق، (ص: ٢٤٧).

(٨٦) أبو حامد الغزالي: جواهر القرآن، تحقيق: محمد رشيد رضا، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٩٨٥م (ص: ٣٠).

(٨٧) المرجع السابق.

وجلّ -حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته...^(٨٨).

أما ابن أبي الفضل المرسى -ت ٦٥٥هـ -فقد نقل عنه السيوطي قوله عن القرآن: "قد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل، مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك"^(٨٩).

وفي القرن الثامن الهجري ظهر بدر الدين الزركشي -ت ٧٩٤هـ -كمؤيد قوي للتفسير العلمي حيث عقد فصلاً في كتابه "البرهان في علوم القرآن" عنوانه: في القرآن علم الأولين والآخرين. قال فيه: "وفي القرآن علم الأولين والآخرين وما من شيء إلا ويمكن استخراج منه لمن فهمه الله تعالى"^(٩٠).

أما جلال الدين السيوطي -ت ٩١١هـ -فقد أكد على تأييده التفسير العلمي فقال بعد أن ساق كلام ابن أبي الفضل المرسى السابق في تأييد التفسير العلمي: "وأنا أقول: قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والأرض، وما في الأفق الأعلى وما تحت الثرى.. إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات"^(٩١).

ولا يمكن للباحثة أن تُغفل أعلاماً أيدوا هذا الاتجاه كالبيضاوي -ت ٧٩١هـ - في أنوار التنزيل، والنيسابوري -ت ٧٢٨هـ -في غرائب القرآن؛ والألوسي -ت ١٢٧٠هـ -في روح المعاني؛ ومع ذلك فالملاحظ هو القلة النسبية لأعداد المهتمين بالتفسير العلمي، فعلى امتداد ما يقارب ثمانية قرون لم يستطع الباحثون في اتجاهات التفسير أن يجدوا أكثر من ثمانية مفسرين اهتموا بالتفسير العلمي، وهو عدد قليل بالنسبة للمفسرين على امتداد القرون.

كما أن معظم هؤلاء المفسرين الثمانية لم يمارسوا التفسير العلمي عملياً في تفاسيرهم بحيث يصح اعتباره اتجاهاً لهم، بل إنهم اكتفوا بالتأييد النظري والدعوة إلى التفسير العلمي، يُستثنى منهم الفخر الرازي الذي كان رائداً بحق للتفسير العلمي ومارسه عملياً في تفسيره: مفاتيح الغيب^(٩٢).

إننا في حاجة إلى من يفسر لنا القرآن على ضوء المقررات العلمية لتتضح معانيه ويؤمن بها الذين لا يرضون بغير هذا الأسلوب بديلاً، فبمقررات علم الأجناس يمكن توضيح قوله تعالى: (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم

(٨٨) فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، دار الفكر، ١٩٨١م، (١٤/٢١١).

(٨٩) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي: الإتيان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، (٢/١٢٧).

(٩٠) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، (٢/١٨١).

(٩١) السيوطي: الإتيان في علوم القرآن للسيوطي، مرجع سابق، (٢/١٢٩).

(٩٢) انظر على سبيل المثال تفسيره قول الله تعالى: (وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّئَلَّا تُكْفِرُوا بِمَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيِّنٍ فَزِرْهُمْ وَهُمْ لَا يُخَفِّرُونَ) (النحل: ٦٦) وما بعدها حيث فسر الآيات تفسيراً علمياً. مفاتيح الغيب (٥/٣٣٦) وما بعدها.

يَحْشُرُونَ) (الأنعام: ٣٨) وبحقائق علم الحياة والأجنة يمكن توضيح قوله تعالى "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ مُضْغَةً عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * (المؤمنون ١٢، ١٣، ١٤)

وبمقررات علم الطب يتضح لنا معنى الأذى في قوله تعالى (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ النَّوَافِلَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (البقرة: ٢٢٢)

وبعلم الطب كذلك يتضح سر التحريم لأكل الميتة والدم ولحم الخنزير والموقوذة والمتريفة والنطيحة الوارد في سورة المائدة (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقُ الَّذِينَ يَكْفُرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (المائدة: ٣) وبعلم الحشرات يتضح لنا تفسير قوله تعالى (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ) (النحل: ٦٨)

فكل ما يساعد على كشف أسرار التشريع من العلوم وزيادة المعرفة بالكون ومكوناته لا بأس به، بل كل ما يوصل إلى الإيمان بالله وإدراك سر الوجود لا بأس به بل هو مطلوب، كل ذلك يجعل الحديث عن الإعجاز العلمي واجباً دعوياً لا بد منه كما يجعل الفرصة متاحة في هذا العصر أكثر من أي وقت مضى لاستغلال قضايا التفسير العلمي في الدعوة إلى الإسلام وعلي يد العلماء المسلمين المختصين في هذا الجانب فقد توفرت لهم الدواعي والأسباب.

المطلب الخامس: التفسير العلمي بين المنهج والاتجاه

من الباحثين من عدّ التفسير العلمي منهجاً من مناهج المفسرين^(٩٣). ومنهم من جعله اتجاهاً من اتجاهات التفسير في العصر الحديث^(٩٤).

ومع أن البعض يرى أن هذا التقسيم هو أمر هامشي لا اعتبار له.

إلا أن الحقيقة خلاف ذلك فثمة فرق كبير بين الاتجاه والمنهج يتضح من خلال الرجوع إلى معناهما اللغوي والاصطلاحي.

فأما الاتجاه فهو مأخوذ من الوجه أو الوجهة، كما في قوله تعالى: (وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيُّهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [البقرة: ١٤٨]، وقال

(٩٣) انظر على سبيل المثال: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للدكتور فهد الرومي (٥٤٥/٢) مرجع سابق، وتعريف الدارسين بمناهج المفسرين للدكتور/ صلاح الخالدي، مرجع سابق، (ص: ٥٦٦).

(٩٤) انظر على سبيل المثال: التفسير العلمي للقرآن في الميزان للدكتور/ أحمد أبو حجر (ص: ٢١٣) مرجع سابق، واتجاهات التفسير في العصر الحديث للدكتور/ عبد المجيد المحتسب، مرجع سابق (ص: ٢٤٧).

تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام: (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [الأنعام: ٧٩] وقال تعالى عن نبيه موسى عليه السلام (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) [القصص: ٢٢].

جاء في اللسان: "وجه كل شيء مستقبله.. والجهة والوجهة جميعاً: الموضع الذي تتوجه إليه وتقصده، وضل وجهة أمره أي مقصده.. والوجه والتجاه: الوجه الذي تقصده" (٩٥).

وقال الراغب الأصفهاني: "يقال للقصد وجه وللمقصد جهة ووجهة وهي حيثما تتوجه للشيء" (٩٦). والاتجاه في الاصطلاح: الهدف الذي يتجه إليه المفسر ويجعله قصداً له في تفسيره.

أما المنهج: فأصله في اللغة النهج وهو الطريق الواضح، ونهج الأمر وأنهج وضح (٩٧)... قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) [المائدة: ٤٨] وفي المعجم الوسيط: "نهج الإنسان الطريق سلكه وبينه... والمنهاج والمنهج: الخطة المرسومة، ومنه منهاج الدراسة ومنهاج التعليم؛ وجمع المنهج والمنهاج: مناهج" (٩٨).

وفي الاصطلاح تعرّف مناهج المفسرين بـ: "الخطط العلمية الموضوعية المحددة التي التزم بها المفسرون في تفاسيرهم" (٩٩).

وبناءً على ما سبق فقد اتضح الفرق الكبير بين الاتجاه والمنهج، فاتجاه المفسر هو ما يغلب على قصده من التفسير، ومنهجه خطته العملية التي يصل بها إلى هذا الهدف الذي قصده.

فهل يسوغ حينئذٍ أن نعدّ التفسير العلمي منهجاً بمعنى أنه مجرد خطة وطريقة يسير عليها المفسر أم أنه في حقيقة الأمر هدف وقصد يسعى المفسر إليه من خلال مناهج متفاوتة يسلكها أهل التفسير العلمي للوصول إلى هدفهم بدليل اختلاف الطريقة والخطة بين من يؤلفون في التفسير العلمي، فمنهم من يجمع الآيات المتعلقة بموضوع علمي تجريبي محدد في مكان واحد ثم يفسرها تفسيراً علمياً، ومنهم من يسير على حسب ترتيب الآيات في المصحف فيفسر الآيات ذات المضامين العلمية الكونية في مواضعها، ومنهم من يتوسع فيقبل النظريات والفرضيات، ومنهم من يقتصر على الحقائق العلمية دون سواها مع أنهم جميعاً يتحدون في القصد الذي اتجهوا إليه، وهو استخدام مكتشفات العلم الحديث في إيضاح معاني الآيات القرآنية وتوسيع مدلولاتها.

(٩٥) ابن منظور: لسان العرب لابن منظور، مرجع سابق.

(٩٦) الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، مرجع سابق، (ص: ٨٥٦).

(٩٧) المرجع السابق (ص: ٨٢٥).

(٩٨) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م، (ص: ٩٥٧).

(٩٩) صالح عبد الفتاح الخالدي: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، مرجع سابق، (ص: ١٧).

المطلب السادس: مناقشة اتجاه الرافضين للتفسير العلمي للقرآن:

إن المعارضين للتفسير العلمي جمعٌ لا يُستهان به، ولهم آراؤهم وأدلتهم التي يستندون إليها ويعتبرونها حاسمة في الدلالة على ما ذهبوا إليه من إنكار واستبعاد لهذا اللون من التفسير القرآني، وهم متفاوتون فيما بينهم في المعارضة والإنكار.

ولكن كيف يكون الحكم بأن النظرة العلمية للقرآن الكريم خاطئة بلا شك؟ فمن المسلم به أن في القرآن إشارات وحقائق علمية، ولم يقل أحد أن القرآن إنما جاء لتحقيق هذه النظريات والعلوم سوى من ننكر عليهم الإفراط في هذا المجال.

وإن إنكار التكلف حق مسلم به، لكن من لا يتكلف في ربطه بين الآيات والحقائق العلمية مع وجود التوافق والتطابق بينهما، أعتقد أن ذلك مما يقبله العقلاء، وإلا فهو التكلف، وأما تغيير العلوم وعدم ثباتها، فهذا صحيح ولكنه لا يمثل طعناً في القرآن، وقد أشار لذلك الأستاذ أحمد الشرباصي حيث يقول: "ومن أسرار القرآن الكريم أنه يستعمل الكلمة الجامعة الحاوية لكثير من المعاني الصالحة لعدد من التفسيرات، مما لا يناقض بعضه بعضاً، بل مما ترتضيه العقول، وتطمئن به القلوب، وتصلح به أحوال الذين أنزل إليهم في مختلف العصور والدهور والبيئات والمجتمعات.." (١٠٠).

ويقول الدكتور منصور محمد حسب النبي: "وإني لأتعجب من المهاجمين للتفسير العلمي حالياً بدعوى أن العلم يتغير، وهذه مغالطة لأن العلم الصحيح لا يتغير لأن نتيجته ثابتة ثبوتاً قطعياً. ويمكن القول بأن العلم الآن في نهاية القرن العشرين يتطور دون أن يتغير في حقائقه الأساسية الثابتة" (١٠١).

فليس إذن ما يثبت العلم اليوم يصبح خرافة غداً ما دامت تقوم على أسس علمية صحيحة، ولكن العلم يتقدم ويتطور، والقرآن لا يتقلب بتقلب النظريات، ولكن طبيعة ألفاظه وآياته تحتل كل العصور ما لم تشذ عن الصواب إلى الخرافة.

وقد أشار الرافي إلى هذا المعنى في قوله "..إننا نرى أسلوب القرآن من اللين والمطاوعة على التقليل والمرونة في التأويل بحيث لا يصادم الآراء الكثيرة المتقابلة التي تخرج بها طبائع العصور المختلفة، فهو يُفسّر في كل عصر بنقص من المعنى وزيادة فيه، واختلاف وتمحيص.. وأثبتت العلوم الحديثة كثيراً من حقائقه التي كانت مُغيّبة، وفي علم الله ما يكون من بعد" (١٠٢).

وفي الاعتدال مع كتاب الله بعيداً عن التفريط والإفراط في تفسيره العلمي المتجدد مع الزمن كمال العظمة والجلالة له، وفي ذلك أيضاً كمال القدسية والمهابة للقرآن الكريم.

وعلى ذلك فلا نعتبر البحث في التفسير العلمي تكلفاً ولا خروجاً عن هدفه لأنه يحمل في آياته وسوره ما يثبت صدق الوحي والنبوّة على مرّ الزمن ولكل الأجيال إلى قيام الساعة.

(١٠٠) مجلة الأزهر - شهر صفر سنة ١٣٦٨ هـ - المجلد (٢٠) - ص ١٦٤ - مقال للأستاذ أحمد الشرباصي.

(١٠١) منصور محمد حسب النبي: الكون والإعجاز العلمي للقرآن، القاهرة، دار الفكر، ١٩٩٨م، ص ٨.

(١٠٢) مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٨، ٢٠٠٥م، ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

المطلب السابع: مناقشة اتجاه المسرفين في التفسير العلمي للقرآن:

المسرفون في التفسير العلمي للقرآن الكريم بالغوا في استنباط العلوم من القرآن، فحملوه كل صغيرة وكبيرة، وكل ما جدّ وما يحدّ، ولذلك فإن أدلتهم وأقوالهم تفتح الباب على مصراعيه أمام كل من يريد الولوج في حمى القرآن، فلو نظرنا إلى قول الغزالي فيما يشمله القرآن من علوم لرأينا العجب، ذلك أن سبعة وسبعين ألفاً ومائتي علم إذا ضربت في أربعة، يكون الناتج ثلاثمائة ألف وثمانية آلاف وثمانمائة علم، وهل يُعقل أن هناك علوماً بمثل هذا العدد الضخم؟ اعتقادي أنها لا تبلغ عشر معشار هذا العدد الضخم، وإن بلغت فإننا لا نستطيع تحديدها والوقوف عليها، ولا نستطيع إثبات الصلة بينها وبين القرآن. ولعل ممّا يهون الأمر أنهم أرادوا بذلك المعاني، فالكلمة قد تشمل أكثر من معنى، لكن الفرق كبير بين المراد بالمعنى، والمراد بالعلم، فالمعنى هو مرادف الكلمة، أو هو ما يفهم بها أو منها، أما العلم فله أصول وقواعد، وله غاية يخدمها ويسعى إليها.

وصحيح أن العلوم كثيرة لا يعلمها إلا الله، ولكن تحديد ذلك بأرقام وأعداد معينة شيء آخر، كما أن الجزم بأن علوم القرآن المستنبطة منه عددها كذا وكذا، هذا نفسه تجاوز في الدعوى لأن علومه لا يعلمها إلا الله. أما استشهاد السيوطي بآية الأنعام وهي قوله: □ .. ما فرطنا في الكتاب من شيء... □ على أن كل شيء، ما وقع وما يقع في الكائنات نجده في القرآن، هذا خلاف ما ذهب إليه المفسرون في معنى الآية، يقول الزمخشري في تفسير الآية: "أي ما تركنا وما أغفلنا في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب أن يثبت ممّا يختص به"^(١٠٣). وكذلك يستدل السيوطي بآية النحل وهي قوله تعالى: [ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء] على أن كل العلوم مبينة في القرآن، وهذا خلاف ما ذهب إليه الزمخشري في تفسير الآية، وذلك حيث يقول:

فإن قلت: كيف كان القرآن تبياناً لكل شيء؟

قلت: المعنى أنه بيّن كل شيء من أمور الدين حيث كان نصّاً على بعضها، وإحالة على السنة، حيث أمر فيه باتباع رسول الله □ وطاعته، وحثاً على الإجماع.. فكانت السنة والإجماع والقياس والاجتهاد مستندة إلى بيان الكتاب"^(١٠٤).

وعلى ذلك فلا بد من الاستدلال بالآيات في مكانها وألاً نحملها أكثر من معناها الذي جعلت له، لا أقصد بذلك نفي التفسير العلمي، ولكن قصدت عدم الإسراف في ذلك حتى لا يصبح القرآن مرتعاً وملعباً لكل من أراد أن يلج حماه.

ولعل مبالغة هؤلاء المسرفين هي التي جعلت ردة فعل معاكسة لدى المنكرين حيث استدلوا بما يفعله هؤلاء المتوسعون الذين حملوا الآيات ما لا تحتمل، وقد أشار الدكتور عماد الدين خليل إلى ذلك حيث قال: "إن الفعل الخاطئ - كما هو معروف - يولد رد فعل خاطئ يساويه في القوة، ويخالفه في

(١٠٣) محمود بن عمر الزمخشلي: الكشاف، ج ٢، بيروت دار المعرفة للطباعة والنشر، ص ١٧.

(١٠٤) المرجع السابق ج ٢ ص ٤٢٤.

الاتجاه، وهكذا فإن مبالغة طائفة من المفكرين في تحويل القرآن الكريم إلى كتاب رياضيات وفلك وطب وتشريع، دفع طائفة أخرى إلى وضع جدار عازل بين القرآن والمعطيات العلمية، وكأن كتاب الله جاء ليخاطب الإنسان بمعزل عن العالم الذي هيئ له والكون الذي يتحرك فيه.. إن هذا التضاد المتطرف يجب ألا يضيّع علينا الرؤية الصحيحة لموقف القرآن من المسألة العلمية.. إن القرآن يظل في حالة حضور دائم في قلب العالم والحياة والكون، يعايش سننها ونواميسها ويحدثنا عنها.. إنه أمر بديهي أن تتعانق معطيات القرآن ومعطيات العلم وتتوازا لا أن تتضادا وتقوم بينهما الحواجز والجدران، ذلك أن مصدر العطاء واحد وهو الله جلّ وعلا، صانع السنن والنواميس، ومنزل القرآن.. خالق الكون والعالم وباعث الإنسان (قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ) (سورة النساء، ٧٨).

تقول الدكتورة هند شلبي: "ولا يخفى أن النقد الذي تمت به معارضة هذا الاتجاه في محله فإن من يقف على تأليف فريق المتحمسين للتفسير العلمي.. يلاحظ أنهم قد حملوا الآيات ما لا تتحملة من المعاني، واعتبروا علمية القرآن في مجرد إشارته بالكلمة العادية يبنون عليها علماً كاملاً في كلياته وجزئياته.." (١٠٥).

المطلب الثامن: الاتجاه الاعتدالي في التفسير العلمي للقرآن الكريم وأصحابه:

يقصد بأصحاب الاتجاه الاعتدالي أولئك الذين كانت لهم مواقف معتدلة في القول بالتفسير العلمي، فلم يميلوا إلى الإفراط أو التفريط، وهم جمع يصعب حصرهم، ويغلب عليهم أنهم معاصرون بدءاً بالإمام محمد عبده صاحب المدرسة العصرية في التفسير ثم من جاء بعده متأثراً به، وهذا لا يعني عدم الإشارة والميل لهذا اللون من التفسير في الماضي فقد مرّ معنا رأي الغزالي والفخر الرازي والسيوطي في مبحث المسرفين، ولكن التقدم العلمي الحديث أدى إلى نضوج الفكرة ووضوح الصورة لدى المعاصرين بنسبة أكبر وسنقف مع أربعة نماذج على سبيل المثال وهم: الإمام محمد عبده، والشهيد سيد قطب، والإمام محمد الطاهر بن عاشور، والشيخ محمد متولي شعراوي، واختياري لهؤلاء دون غيرهم لا يُنقص من قدر الآخرين لكن لضيق المقام أولاً ولكونهم أصحاب تفاسير مشهورة.

والآن سيكون دوري ومهمتي هو الوقوف على هذه الآراء من مصنفاتهم وما يقتضيه الأمر من تنسيق وتقديم وتعليق.

أولاً: رأي الإمام محمد عبده:

عرفنا أن الإمام محمد عبده صاحب مدرسة حديثة في التفسير تتابع روح العصر ومقتضياته، وتمتاز بالحرية العقلية والثورة على القديم، وبالتالي يرى أهمية الأخذ بالتفسير العلمي كعنصر من عناصر التبيان عن إعجاز القرآن، ولذلك نجده يتناول بعض آيات القرآن فيشرحها شرحاً يقوم على أساس من نظريات العلم الحديث، وغرضه بذلك: أن يوفق بين معاني القرآن التي قد تبدو مستبعدة في نظر بعض الناس،

(١٠٥) هند شلبي: التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، هند شلبي، مطبعة تونس، ١٩٨٥م، ص ٤٨، ٤٩.

وبين ما عندهم من معلومات توشك أن تكون مُسلمةً عندهم، أو هي مُسلمةٌ بالفعل^(١٠٦).

يقول الدكتور عبد المجيد المحتسب: "يرى محمد عبده وفقاً لنزعتة العقلية في التفسير أن إعجاز القرآن يعجز الزمان عن إبطال شيء منه، وأنه موافق لما تجدد من العلم الحق، والتشريع العدل، أو غير مخالف له.. لهذا صح أن تجعل سلامته من الخطأ ضرباً من ضروب إعجازه للبشر، وإن لم يكن هذا مما تحدى به الرسول (ص) من عجز البشر عن مثله، لأنه لم يكن ليظهر إلا من بعده فادّخر ليكون حجة على أهله، والقرآن مشتمل على تحقيق كثير من المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن معروفة في عصر نزوله، ثم عُرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون وتاريخ البشر وسنن الله في الخلق"^(١٠٧).

ويحسن أن نذكر مثلاً من تفسير الإمام للدلالة على نزعتة العلمية المعتدلة، وذلك حيث يقول عند تفسير قوله تعالى: "وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا" (سورة الشمس، ٥):

"السماء اسم لما علاك وارتفع فوق رأسك، وأنت إنما تتصور -عند سماعك لفظ السماء- هذا الكون الذي فوقك: فيه الشمس والقمر، وسائر الكواكب تجري في مجاريها، وتتحرك في مداراتها، هذا هو السماء، وقد بناه الله: أي رفعه، وجعل كل كوكب من الكواكب منه بمنزلة لبنة من بناء سقف أو قبة أو جدران تحيط بك، وشد هذه الكواكب بعضها إلى بعض برباط الجاذبية العامة، كما تربط أجزاء البناء الواحد بما يوضع بينها مما تتماسك به"^(١٠٨).

ومع ذلك فإن للإمام شطحات قد أخذها العلماء عليه وانتقدوه فيها وذلك مثل تفسيره لسورة الفيل، حيث اعتبر أن الذي أصاب جيش أبرهة هو داء الجدري والجراثيم التي نقلتها الطيور وهي ما تعرف اليوم بالميكروبات^(١٠٩).

ولا شك أن لكل عالم زلة، والعصمة لرسول الله، ولعل حياته في باريس جعلته متأثراً بالحضارة الغربية ومناهجها، ومنها "المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي الذي ترعّمه "فرويد" والذي يرى ضرورة أن يُقحم المؤرخ نزعتة الذاتية أو اتجاهه الفكري أو الديني أو السياسي في تفسير الأحداث وتعليلها والحكم عليها"^(١١٠).

فألعل هذا المنهج قد أثر عليه بشكل أو بآخر مما جعله يؤول بعض الأحداث ويخوض في بعض المبهمات بشيء من التفصيلات والجزئيات، والأولى أن يسلم بالأمر الخارق للعادة كما أخبر الله عز وجل دون تعليل أو تأويل.

(١٠٦) الذهبي: التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ج ٢ ص ٥٦٧.

(١٠٧) فهد الرومي: اتجاهات التفسير في العصر الراهن، مرجع سابق، ص ١٢٩، ١٣٠.

(١٠٨) تفسير جزء عم - الإمام محمد عبده - ص ٧٣ - راجعه على الرسم العثماني الشيخ عامر السيد عثمان - مطابع الشعب.

(١٠٩) المرجع السابق - ص ١٢٠.

(١١٠) محمد سعد البوطي: فقه السيرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة السابعة - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، ص ٢٣-٢٦.

ثانياً: رأي الإمام محمد الطاهر بن عاشور:

الإمام ابن عاشور هو صاحب التفسير المشهور "التحرير والتنوير"، ويُعدُّ الإمام من أهل هذا الزمان الذين عاصروا النهضة العلمية وقد تأثر بها في تفسيره، ولناخذ قطعة من كتابه التفسير لنرى رأيه في التفسير العلمي من خلال رأيه في الإعجاز العلمي وذلك حيث يقول:

"وأما النوع الثاني من إعجازه العلمي فهو ينقسم إلى قسمين: قسم يكفي لإدراكه فهمه وسمعه، وقسم يحتاج إدراك وجه إعجازه إلى العلم بقواعد العلوم، فينبلج للناس شيئاً فشيئاً انبلاج أضواء الفجر على حسب مبالغ الفهم وتطورات العلم، وكلا القسمين دليل على أنه من عند الله، لأنه جاء به أمي في موضع لم يعالج أهله دقائق العلوم، والجائي به ثاو بينهم لم يفارقهم" (١١١).

إلى أن يقول: "وهذه الجهة من الإعجاز إنما تثبت للقرآن بمجموعه أي مجموع هذا الكتاب إذ ليست كل آية من آياته، ولا كل سورة من سورته بمشتملة على هذا النوع من الإعجاز، ولذلك فهو إعجاز حاصل من القرآن، وغير حاصل به التحدي إلا إشارة نحو قوله تعالى [.. وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا] (سورة النساء، ٨٢)، وإعجازه من هذه الجهة للعرب ظاهر، إذ لا قبل لهم بتلك العلوم كما قال الله تعالى: [.. مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا..] (سورة هود، ٤٩)، وإعجازه لعامة الناس أن تجيء تلك العلوم من رجل نشأ أمياً في قوم أميين" (١١٢).

ثالثاً: رأي الشيخ محمد متولي شعراوي (١١٣):

الشيخ شعراوي من المعاصرين، ولا يجهره أحد من عامة الناس أو خاصتهم وهو صاحب البرنامج الإذاعي والتلفزيوني المشهور بما فيه من بلاغة وحسن بيان، وقد جمعت دروسه ومحاضراته في تفسير قد طبع منه عدة مجلدات، وهو من القائلين بالتفسير العلمي، وهو من المعتدلين في رأيه القائل بأن التفسير العلمي وإعجازه القرآني متجدد عبر العصور والأجيال إلى قيام الساعة، ومع كلامه ليكون ذلك أقرب لبيان رأيه، وذلك حيث يقول: "ولكن التحدي في القرآن ومعجزاته ليست للعرب وحدهم.. بل هي للعالم أجمع.. ومن هنا فقد كان إعجاز القرآن اللغوي.. هو تحدٍ للعرب فيما نبغوا فيه، ولكن التحدي لم يأت للعرب وحدهم، والقرآن جاء لكل الأجناس، وكل الألسنة، فأين التحدي لغير العرب، ثم هذا الكتاب سيبقى إلى أن تقوم الساعة، فلا بد أن يحمل معجزة للعالم في كل زمان ومكان، ومن هنا كانت هناك معجزات للقرآن وقت نزوله، وفي خلال فترة نزوله، وبعد نزوله، وهي مستمرة حتى يومنا هذا، وستستمر إلى قيام الساعة لتظهر لنا آيات الله في الأرض" (١١٤).

(١١١) محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ج ١، د، ت، ص ١٢٧.

(١١٢) المرجع السابق، ج ١ ص ١٢٩.

(١١٣) انظر: منهج الشعراوي في التفسير - رسالة ماجستير غير منشورة للطلاب: إبراهيم عيسى صيدم ص ٤٠، ٦٢ - قسم التفسير بكلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية بغزة.

(١١٤) محمد متولي الشعراوي: المنتخب في تفسير القرآن الكريم، دار العودة للطباعة والنشر - بيروت ١٩٨٠ م، ص ١٦.

إلى أن يقول: "مَزَّقَ القرآن حجاب المستقبل البعيد.. ليعطي الأجيال القادمة من إعجازه ما يجعلهم يصدقون القرآن، ويسجدون لقائله، وهو الله، ولكن هذا القرآن نزل في زمن لو أن هذه المعجزات المستقبلية جاءت تفصيلية لكفر عدد من المؤمنين وانصرف آخرون، ذلك أن الكلام كان فوق طاقة العقول في ذلك الوقت، ومن هنا وحتى لا يخرج المؤمن عن إيمانه، ويستمر الإعجاز، جاء الإعجاز بنهايات النظريات، بقمة نواميس الكون، إذا تليت على المؤمنين في ذلك الوقت، مرت عليهم، ولم يتنبهوا إلى مدلولها الحقيقي العلمي، وإذا قيلت بعد ذلك على الأجيال القادمة عرفوا ما فيها من إعجاز، وقالوا إن هذا الكلام لا يمكن أن يقوله شخص عاش منذ آلاف السنين، إذن لا بد أن هذا حق من عند الله، وأن قائله هو الله الخالق" (١١٥).

وهكذا يثبت الشيخ شعراوي صلاحية القرآن لكل الأزمان، وهو المعجزة الخالدة على مرّ العصور والأجيال بما فيه من توافق وتطابق مع ما يثبته العلم المتجدد بما يؤكد صدق الوحي والنبوة. وبهذا يظهر لنا رأي المعتدلين في القول بالتفسير العلمي من خلال ما قالوا وما كتبوا وكيف أنهم تجنبوا الوقوع فيما وقع فيه السابقون من إفراط أو تفريط، فكان رأيهم أقرب إلى الحق والعدل وكان فيه من المعقولية ما يدعو إلى قبوله والتسليم به.

الخاتمة:

في ضوء العرض السابق يتضح أن التفسير العلمي حقيقة ثابتة قائمة على أصولها وأسسها وضوابطها مثله كمثل شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. ولا بد من الإشارة إلى أن سلفنا الصالح كانوا يتخوفون من أن يقولوا في التفسير بغير علم ومن ذلك قال إبراهيم التيمي: سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن تفسير الفاكهة والأب فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم. وقال أنس سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال: كل هذا قد عرفناه، فما الأب؟ ثم رفع عصا كانت بيده وقال: هذا لعمر الله إنه التكلف، وما عليك يا بن أم عمر ألا تدري ما الأب؟ ثم قال: اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب، وما لا فدعوه" (١١٦).

وعلى هذا فمن يفسر القرآن بنظرية غير ثابتة فهو في الحقيقة إنما يفسر برأيه على غير قوانين العلم والنظر، بخلاف من يفسره بهذه القوانين الثابتة، فهو يعمل عملاً مشروعاً يوضح ما في القرآن فقط لا يقصد به إثبات فكفى بالله شهيداً على صدقه يقول المولى عز وجل "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" (فصلت: ٥٣)

وثمة ملاحظة أخرى وهي أن علماء المسلمين الفضلاء ينقسمون في (موضوع التفسير العلمي للقرآن) إلى فريقين: فريق يجيز التفسير العلمي للقرآن، ويدعو إليه، ويرى فيه فتحاً جديداً وتجديداً في

(١١٥) المرجع السابق، ص ٤٣.

(١١٦) تفسير القرطبي لسورة عبس ج ٩ ص ٢٢٣

طرق الدعوة إلى الله، وهداية الناس إلى دين الله. وفريق يرى في هذا اللون من التفسير خروجاً بالقرآن عن الهدف الذي أنزل من أجله، وإقحاماً له في مجال متروك للعقل البشري، يجرب فيه، ويصيب ويخطئ. وشروط تفسير كتاب الله تفسيراً علمياً أن يكون لدى المفسر فهمٌ للغة العربية وأسرارها، وقواعدها، وضوابطها، كذلك فهمٌ لأسباب النزول، وفهمٌ للناسخ والمنسوخ، وفهمٌ للمأثور من أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) في تفسير القرآن الكريم، مع فهم لجهود المفسرين السابقين، ثم يوظف المعارف المتاحة في زمانه لإضافة بُعدٍ جديد للقرآن الكريم هو بعد التفسير العلمي.

وبالإضافة إلى كل ذلك لا بد أن تكون للمفسر دراية بالنواحي العلمية أي العلوم التجريبية التي يفسر في إطارها - متخصص حقيقةً - وإلا فنتوقع أن يحدث الخلط والبلبل في تفسير كتاب الله، وفي ذلك يري زغلول النجار أن الذي أدى إلى شيء من الخلط هو كون بعض الذين تعرضوا للتفسير العلمي للقرآن الكريم ليست لديهم خلفية علمية^(١١٧).

وإذ لا بد من وجود ضوابط يتقيد بها من يريد التفسير العلمي للقرآن الكريم ففي ما يلي جملة الضوابط التي تحكم التفسير العلمي نذكرها مستأنسين بما أورده الأستاذ الدكتور زغلول النجار:

١. أن يكون المعنى مما يمكن استنباطه من النص ومما تدل عليه اللغة من دلالات ومعان.
٢. أن يكون المفسر عالماً باللغة العربية عارفاً قواعدها ملماً بمعاني الألفاظ.
٣. استقامة المفسر وسلامة عقيدته
٤. استخدام علوم اللغة العربية في التفسير من نحو وصرف وبلاغة. .. الخ
٥. الاستعانة بعلوم القرآن المأثورة عن السلف التي فيها بيان للناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد والمجمل والمفصل.... الخ
٦. مراعاة الأخذ بمعني النص كاملاً دون بتره أو تجزئته بطريقة تخل بالمعنى.
٧. جمع النصوص القرآنية المتعلقة بالموضوع الواحد والنظر إليها نظرة كلية لأن الآيات القرآنية يفسر بعضها بعضاً.
٨. الرجوع إلى القراءات الصحيحة للآيات موضوع التفسير في حالة تعدد القراءات.
٩. الرجوع إلى الأحاديث النبوية الصحيحة والحسنة وأقوال السلف الصالح والمفسرين من الصحابة والتابعين والتابعين لهم.
١٠. عدم الخوض في الأمور الغيبية المطلقة مما أسماه أهل العقيدة بالغيبيات كالذات الإلهية والجن والملائكة والميزان والصراط ونحو ذلك.
١١. الحرص على عدم الدخول في التفاصيل العلمية الدقيقة التي لا تخدم قضية الدعوة إلى الإيمان إلا في حدود لفت النظر إلى الإعجاز.

(١١٧) زغلول النجار، مرجع سابق

١٢. أن يكون الحكم المستتب عن طريق التأويل واضح الانسجام مع التصور القرآني العام
١٣. أن يتذكر المفسر دائماً أنه مجتهد وأنه يقدم ما يعرفه في حدود علمه البشري الناقص وليس هو في مقام تقديم مراد الله تعالى من الآية أو الآيات باليقين وأن يصرح بذلك كأن يعقب بقوله {الله أعلم} مثلاً.
١٤. إن تفسير القرآن بالنظريات التي لم تثبت يعد تفسيراً بالرأي المحض، وقصره على رأى بالذات افتراء وكذب على الله. وفي ذلك خطورة كبيرة، لأنها تخضع آيات القرآن للآراء الخاصة، الأمر يعرض القرآن للطعن فيه بالتكذيب إن جاء ما يثبت خطأ الرأي الأول.
- وسنذكر أيضاً رأي الشيخ محمد الأمين ولد الشيخ الذي أورد بعضاً من هذه الضوابط وسماها حدود ونسبها إلى الذين قالوا بجواز التفسير العلمي ومن هذه الحدود:
- (١) ضرورة التقيد بما تدل عليه اللغة العربية فلا بد من: أن تراعى معاني المفردات كما كانت في اللغة إبان نزول الوحي، وأن تراعى القواعد النحوية ودلالاتها. أن تراعى القواعد البلاغية ودلالاتها.
- (٢) ضرورة البعد عن التأويل في بيان إعجاز القرآن العلمي.
- (٣) أن لا تجعل حقائق القرآن موضع نظر، بل تجعل هي الأصل: فما وافقها قبل وما عارضها رفض
- (٤) أن لا يفسر القرآن إلا باليقين الثابت من العلم لا بالفروض والنظريات التي لا تزال موضع فحص وتمحيص.
- (٥) لا يجوز أن يفسر القرآن بالظنيات والحدسيات، لأنها عرضة للتصحيح والتعديل إن لم تكن للإبطال في أي وقت.
- ومن خلال ما سبق من استعراض الآراء ومناقشتها يمكنني القيام على تأصيل وتقعيد القول بالتفسير العلمي للقرآن الكريم بعيداً عن الإفراط والتفريط، وذلك بوضع نقاط تمثل الأسس والقواعد والضوابط، وذلك فيما يلي:
- أولاً: إن القرآن لم ينزل للعرب وحدهم، وإنما لكلِّ العصور والأجيال، فلا بد أن يجد فيه أهل كلِّ عصر أدلة على صدق الوحي والنبوة.
 - ثانياً: القرآن كتاب هداية وإعجاز معاً لا ينفصلان إلى قيام الساعة، فالبحت عن تفسيره في أي عصر بما يتلاءم مع ثقافة ذلك العصر لا يُعدُّ خروجاً عن هدفه.
 - ثالثاً: يجب على المسلمين في كلِّ عصر أن يفهموا النص القرآني حسب قدرتهم وثقافتهم العلمية.
 - رابعاً: إن النظريات العلمية بمنهجيتها لا يُلغي بعضها بعضاً، وإنما يدعم اللاحق منها السابق.
 - خامساً: على الرغم من أن الحقيقة العلمية هي نهاية ما وصل إليه العلم إلا أنها مع ذلك قد يعترضها شيء من التطور حسب إمكانات العصر وما يجد من معارف وعلوم.
 - سادساً: لا نجزم بأن مراد الله من آياته هو هذه النظرية أو تلك الحقيقة، وإنما نستأنس بهما فقط

إن توافقتا مع ظاهر الآية القرآنية.

- سابعاً: إن ثبت خطأ نظرية سبق أن استأنسنا بها في تفسير آية قرآنية، فهذا يدعو إلى إعادة النظر في فهم الآية، ولا ينقص ذلك من قدر القرآن، فهو أصل ثابت.
- ثامناً: يجب عدم إخضاع الآيات القرآنية وإرغامها لتوافق حقيقة علمية لأنه لا يشترط أن يكون لكل حقيقة ما يوافقها من الآيات، فهذا تكلف لا يقبله الله لكتابه.
- تاسعاً: إن توافقت ظاهر آية قرآنية مع حقيقة علمية مع تمام المطابقة بينهما، فهذا دليل علمي يثبت أن القرآن كلام الله قطعاً، ولا يمكن أن يكون من كلام بشر مهما كان.
- عاشراً: إن التفسير العلمي ليس مصاحباً لزمن النزول، وإنما هو حديث النشأة ليخاطب الذين لا يتكلمون العربية بلغة العلم التي يعرفونها ولا يؤمنون بغيرها وسيلة للتخاطب.
- الحادي عشر: إن العلم الحديث لم يأت بهذه الحقائق بعد أن لم تكن، ولكنها سنن إلهية كانت خفية عن عقول البشر، فتم اكتشافها لتوافق آيات إلهية متلوة، فيستدل بذلك على أن القرآن كلام الله ومن عنده قطعاً.
- الثاني عشر: يجب عدم الخوض في جزئيات العلوم ومساائلها عند تفسير الآيات القرآنية، وإنما تؤخذ مسلمة في هذا المجال.
- الثالث عشر: إن الإفراط في التفسير العلمي يؤدي إلى ردة فعل معاكسة حيث تولد رأياً يُغلق الباب بإطلاق، وهذا هو التفريط المردود أيضاً.
- الرابع عشر: الوسطية والاعتدال في القول بالتفسير العلمي هو خير الأمور وأكثرها قبولاً لدى المنصفين الباحثين عن الحقيقة.
- الخامس عشر: القول المعتدل في التفسير العلمي المتجدد مع الزمن يزيد القرآن عظمة وجلالة وقدسية ومهابة وذلك عند القريب والبعيد، وعند العدو والصديق.
- السادس عشر: يُعد التفسير العلمي بمثابة تجديد لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم، فكأنما هو قائم في كل عصر يرى الناس دليل صدقه، وهو ذلك التوافق والتطابق بين سنن الله في الكون وآيات الله في القرآن، تحقيقاً لقوله تعالى: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق.." (سورة فصلت، ٣٥).
- السابع عشر: إن أمية النبي ρ هي أبلغ في إثبات دليل الوحي والنبوة مما لو كان قارئاً وكتائباً.